

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

ملخصٌ بَعُودَةُ الإِسْلَامِ وَبِشَارَاتِ عَوْدَتِهِ

إعداد

حامد شاكر العاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين المعتدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابه المكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فمن حسن الطالع أننا نكتب في عودة الإسلام، رغم تخرصات الأعداء المتواصلة، وتبسيط المثبطين، وخور الحكام، واستبداد المستبدين، وحرب الضالين، وعلمنة المفكرين، وتصهين القادة والمتسلطين...، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ورغم هذا كله، فإني أجزم كغيري من المسلمين بأن الدين الإسلامي قادم لا محالة إلى سدة الحكم بإذنه تعالى، وسينجز الله وعده الذي أخبرنا به محمد بن عبد الله ﷺ الصادق الوعد الأمين.

وبين أيدينا بشارات كثيرة، وقد لاح قسم منها، وستأتي الباقيات في القريب العاجل بإذنه تعالى، وكل يوم لنا فيه جديد بحمد الله ومنه وكرمه وفضله، ومن فضائله سبحانه وتعالى؛ تعهده بحفظ كتابه ودستوره الذي أنزله على أمة النبي ﷺ وإلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ﴾⁽¹⁾، وإني إذ أضع بين يدي القارئ الكريم أسئلة محددة الإجابة، أقول له: انظر ماذا يدور حولك، وتحوّل بفكرك شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً، ثم اسأل نفسك بعد هذا الإمعان والتأمل: لمن التجديد والاستمرار والبقاء؟، ولمن النصر بعد كثرة الأعداء؟، ولمن التمكين بعد فشل المؤامرات؟، ومن الذي يتغير؟، وأي الحضارات التي تندثر؟، وهل اندثر الإسلام؟، وهل أن أتباعه يزيدون أم ينقصون؟، وهل أن الغزو الفكري الغربي قد حقق أهدافه؟، أم أنه فشل وانتهى إلى غير رجعة؟، ثم هل أن جولته الآن في الغزو المسلح، سيكون مصيرها الفشل كسابقتها؟، أرجو منك أيها القارئ الكريم أن تعمل عقلك، لكي تتوصل إلى الإجابة الأكيدة.

وفي بحثي هذا مطالب لمعطيات تؤكد جزماً أن الإسلام على الأبواب بإذنه تعالى. وهذه المطالب تعينك على الإجابة، وكأن المحصلة النهائية أن الإسلام هو المنتصر، وأنه هو الغالب، وأنه فوق كل شيء وفوق كل اعتبار، والمطالب هي:

1- الأدلة القرآنية الدالة على ظهور الإسلام وسيادته وعودته.

(1) الحجر : 5.

- 2- الأدلة النبوية الدالة على ظهور الإسلام وسيادته.
 - 3- الحوادث الغيبية التي أخبر النبي ﷺ بأنها ستقع بعده.
 - 4- أقوال أهل العلم المعاصرين بظهور الإسلام وسيادته.
 - 5- شواهد وظواهر على عودة الإسلام ماضياً وحاضراً.
 - 6- عودة الإسلام خير للبشرية جمعاء، وأقوال الغربيين المنصفين في أهمية عودته وظهوره.
 - 7- حذر الغربيين الأعداء من ظهور الإسلام وعودته مجدداً.
 - 8- الإشارات بعودة الإسلام في التوراة والإنجيل والكتب القديمة.
 - 9- تجمع اليهود على أرض فلسطين وإفسادهم في الأرض دليل على عودة الإسلام وظهوره.
 - 10- نهاية اليهود والنصارى دليل على أن الإسلام منصور بإذنه تعالى.
 - 11- الإعجاز القرآني دلالة على أن المستقبل لهذا الدين.
 - 12- ومن دلائل عودة الإسلام أنَّ الجهادَ والحج ماضيان إلى يوم القيامة.
 - 13- صحوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.
 - 14- النظام العالمي الجديد (العولمة)، ولماذا وجوده الآن؟.
 - 15- ومن دواعي عودة الإسلام عدم إبادة أتباعه واجتثاثهم، كما حدث للأمم السابقة.
 - 16- ظهور المهدي كدليل على عودة الإسلام وظهوره
 - 17- نزول المسيح عليه السلام وحكمه بشريعة الإسلام.
- هذا ونسأله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا لما يحب ويرضى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

حامد شاكر العاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: الآيتان 32، 33)

المطلب الأول

الأدلة القرآنية الدالة على ظهور الإسلام وعودته وسيادته

لقد ذكر الله عز وجل في كتابة العزيز إشارات ودلالات على أن الإسلام سيسود العالم من بعد ضعف وسيكون له الغلبة والنصرة والمنعة، بعد أن كان للأنظمة الأرضية والقهرية والاستبدادية والعلمانية والإباحية السيادة والطغيان في الأرض، والتي بسببها انتشر الظلم والجور والتعسف، وسادت الفوضى، وعمّ التخبط، وأصبح للرديلة مناهج وقوانين يحتذى بها وتطبق على البشر كنظام حياة تحت قوة السلاح والقهر والاستبداد.

فقد أخبر الله عز وجل في أكثر من موضع من كتابه العزيز على ظهور الإسلام وعودته وسيادته، وأنه سيملي به الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وليعلم كل مسلم بادئ ذي بدء أن القرآن برمته دال دلالة قاطعة لا مرية فيها على تمكين الإسلام وغلبته على سائر الأديان، ولكننا أردنا في هذه العجالة أن نذكر بعض الآيات مع تبيان تفسير كل واحدة منها، ليكون منا إقراراً واعترافاً بوعده الله على تحقيق ما سيكون بإذنه ومشيتته جل في علاه:

1. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (1).

قال ابن كثير: (إنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس) (2)، وكنتم: تفيد الاستمرار والدوام والتمام، قال الطبري: (كنتم بمعنى التمام، كأن تأويله خلقتكم خير أمة، أو وجدتكم خير أمة، كان معنى صحيحاً) (3)، وهذه الأمة حتى تكون خير الأمم عليها أن تحقق شروطها الثلاثة كما أرادها الله لها، وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان المطلق بالله عز وجل.

قال محمد رشيد رضا: (والحق أقول: إن هذه الأمة ما فشتت خير أمة أخرجت للناس، حتى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: وقد بين الفخر الرازي كون وصف الأمة هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان علة لكونها خير أمة أخرجت للناس، فقال: وأعلم أن هذا الكلام مستأنف، والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم، يطعم الناس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم) (4).

(1) آل عمران: 110.

(2) تفسير ابن كثير: 391/1.

(3) تفسير الطبري: 45/4.

(4) الوسيطية: 71.

وقال ابن النحاس: (وعلى قول مجاهد: كنتم خير أمة إذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وقيل: إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة، لأن المسلمين منهم أكثروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى) (1).

وقد وردت عدة أحاديث تشير إلى خيرية هذه الأمة، وأنها مستمرة بالعطاء والخيرية حتى قيام الساعة، حيث سيبقى فيها دعاة وعلماء ربانيون مخلصون يعملون بهذه الشروط الثلاثة، وما أن يذهب واحد منهم حتى يخلفه آخر، وهكذا تستمر الخيرية لها، فقد روى الترمذي في تفسير هذه الآية أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّكُمْ تَتَمُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)) (2).

والخيرية سمة هذه الأمة وصفتها على الدوام، فهي - أي الخيرية - تكريم من الله لها، كما في حديث الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ: ((أُعْطِيَتْ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ))، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ فقال: ((نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُعْطِيَتْ مَفَاتِيحُ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ)) (3).

قال سيد قطب: (وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم

(1) إعراب القرآن: 175/1.

(2) سنن الترمذي: 211/5 برقم (3001) وقال: هذا حديث حسن، ووافقه الألباني كما في المشكاة برقم (6285).

(3) مسند أحمد: 98/1 و 158، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: 265/1 و 266: وفيه عبد الله بن محمد بن عجيل، وهو سيء الحفظ، قال الترمذي: صدق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل (البخاري) يقول: كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم، والحميدي يحتجون بحديث ابن عجيل، قلت: فالحديث حسن، والله أعلم. ينظر: الوسطية للصلاحي: 72.

الصحيح، هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها⁽¹⁾.

فخيريتها تتمثل⁽²⁾: بإيمانها بالله عز وجل، وأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وكونها خير الأمم للناس وأنفعها لهم، وكونها أكثر الناس استجابة للأنبياء، وكونها لا تجتمع على ضلالة، وكون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية من حيث أنه أحسن الحديث، وأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وصيانته من الزيادة والنقصان ومن التحريف والتبديل، وأنه الكتاب المهيمن على الكتب التي قبله، وأنه الكتاب الوحيد الذي تحدى الله البشر بأن يأتوا بسورة من مثله، وكون نبيها أفضل الأنبياء والرسل، وأن الله ختم به الأديان ونسخها، فلا يعبد الله إلا به، وتقديمها على الأمم في الحشر والحساب يوم القيامة ودخول الجنة مع كونها آخر الأمم، وكونها أكثر أهل الجنة.

وهذه الآية تدل على عودة الإسلام وسيادته وظهوره من حيث أن خيريتها تفيد الاستمرار، ولا يعدمها الله سبحانه وتعالى هذه الخيرية، فهي أمة العطاء المستمر الذي لا ينضب ولا ينقطع، وفي المقابل نجد أن الأمم الأخرى يسودها الفساد والطغيان وتفشي الرذيلة، وحتى سلاحها الذي تنتجه ففيه البلاء الكبير على البشرية برمتها رغم تقدمها في الصناعات وتطورها التكنولوجي إلا أنها لا تعطي الغذاء الروحاني والفضيلة والأخلاق، وبالألمس القريب دخل الإسلام حاخام يهودي هو وعائلته في تركيا، ولما سئل عن سبب دخوله الإسلام؟ أجاب: بأنه فتش الأديان جميعاً وأمعن فيها ملياً فلم يجد مثل الإسلام دين رحمة وسلام ووئام، ولم يجد ديناً مثله شمل الناس جميعاً، ويقول: لقد سئمت دين اليهودية، فلم أجد فيه من الغذاء الروحاني ما ينقذني من الاضطراب النفسي الذي علق بي لفترة طويلة، ولم أجد ذلك إلا في الإسلام فأسلمت وأعلنت إسلامي أنا وعائلي.

2. قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾⁽³⁾.

(4) الظلال: 32/2 .

(5) الوسطية للصلاحي: 72 وما بعدها.

(1) النساء: 159.

قال ابن كثير: (أي أمانة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه يتزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت ذلك في الصحيح، ((أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)) (1)؛ ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه (2).

ففي هذه الآية دلالة على أن الإسلام سيحكم مجدداً ويعم الأرض جميعاً بخيره وبركته، فيهلك الطغاة وأصحاب المناهج الضالة المنحرفة، ويسود العدل والحق، ويكون قتل الدجال على أيدي تلك الثلة المباركة التي ستحكم بالإسلام، والتي ستقود الناس إلى جادة الصواب بعد انحراف وضلال.

3. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (3)، فهذه الآية الكريمة تشير إلى ختم الله عز وجل الأديان بدين الإسلام، وهذا يعني أيضاً أن الله سيحفظ أمة الإسلام وسيبقىها ظاهرة على غيرها، لأنها هي الحاضنة والحاملة له مهما تعاقب الليل والنهار، ومهما كاد لها الأعداء، والتأريخ هو الشاهد على صدق ما نقول، فإن الله لا يخذل أتباعه، لهذا حار الأعداء وتحيروا، واخترعوا شتى الأساليب للقضاء عليه وعلى أهله، ولكن الله عز وجل يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

قال سيد قطب: (إن كتاب هذه الأمة هو كتاب الله الأخير للبشر، وهو يصدق ما بين يديه من الكتاب في أصل الاعتقاد والتصور، ولكنه - بما أنه هو الكتاب الأخير - يهيمن على كل من سبقه وإليه تنتهي شريعة الله التي ارتضاها لعباده إلى يوم الدين) (4).

4. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ

(2) المعجم الكبير للطبراني: 153/11 برقم (11337)، مصنف بن أبي شيبة: 31/5 برقم (23419).

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: 1/768.

(4) المائة: 3.

(5) ينظر: في ظلال القرآن: 2/630.

فَضَّلَ اللهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ⁽¹⁾.

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة: إنه من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته بأن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً)⁽²⁾.

إذن هو جهاد باق ومستمر إلى يوم المعاد، وجهاد من هذا النوع يحتاج إلى عصبية لا تخاف إلا الله، ويجب أن تكون موجودة لا تنقطع، يصطفئها الله عز وجل بين الحين والآخر لحفظ دينه وبثه وإيصاله والدعوة إليه إلى كل من هب ودب من بني البشر. والناظر في تسلسل الأحداث عبر التاريخ يجد أن هذه الثلة من الأبطال لم تنعدم سواء أكانت متمثلة في فرد أم متمثلة في أمة.

وأنت اليوم تشاهد انتشار القنوات الفضائية الإسلامية التي يراها ملايين الناس، وتؤيد التقارير وكتابات العلماء والمثقفين الإسلاميين دخول العشرات من الناس في دين الإسلام يومياً من النصارى وغيرهم، فضلاً عن الزيادة المطردة في نسبة التائبين والعائدين إلى هذا الدين. كل هذا وذاك مؤشر على ظهوره مجدداً بإذنه تعالى.

قال الشيخ الرباني عبد القادر الكيلاني:

أنا من رجال لا يخاف جليسه ريب الزمان ولا يرى ما يرهـب

أفلت شمس الأولين وشمسنا أبداً على فلك العلى لا تغرب

5. قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾.

إن الله - جلّت قدرته وعظم شأنه - أقسم وأمر وأعلن نكاية باليهود بهم أنه سيُسخر عليهم من جنوده من يسومهم سوء العذاب، وهذا التسخير لا ينقطع فهو على مر العصور وكر الدهور إلى قيام الساعة، والتاريخ القديم والحديث شاهد على ذلك، ومن أصدق من الله قيلاً، وهذا يحتاج إلى ثلة أو جماعة مجاهدة قوية قائمة بأمر الله متواجدة تسوم بني إسرائيل سوء العذاب وإلى يوم القيامة.

(6) المائدة: 54.

(1) ينظر: مختصر ابن كثير: 369/1.

(2) الأعراف: 167.

قال ابن كثير: (أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم، ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية)، ثم قال: (قال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن المسيب، قال: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية، قلت: ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان) (1).

أقول: إن ما يتلقاه اليهود اليوم على أيدي المجاهدين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس من ضربات موجعة وإذلال وخوف، لدليل قاطع لا يقبل الشك لمراد الله عز وجل في هذه الآية. 6. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (2). بما أن الرسل عليهم السلام قد ختم الله سلسلتهم بالنبي محمد ﷺ إلا أن من بعده سيقومون بأعباء الرسالة الحمديّة، لذا تحقق فيهم وعد الله عز وجل بنجاتهم ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذه النجاة مستمرة وباقية إلى قيام الساعة ما دام في هذه الأمة صادقون، وهم موجودون في كل زمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ابن كثير: (أي وهلك المكذبين بالرسول ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حقاً أوجبه الله على نفسه الكريمة كقوله ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (3) (4). 7. قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (5)، قال ابن كثير: (ثم قرر تعالى أنه هو

(3) تفسير ابن كثير: 248/2.

(1) يونس: 103.

(2) الأنعام: 12.

(3) تفسير ابن كثير: 570/2.

(4) الحجر: 9.

الذي أنزل عليه الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغير والتبدل⁽¹⁾، فهو باقٍ محفوظ لا يندثر ولا يتبدل، ولا يلتبس بالباطل، ولا يمسسه التحريف، وهو يقودهم إلى الحق برعاية الله وحفظه، وإنما تعهده عز وجل بحفظ كتابه العزيز كدليل قاطع لا لبس فيه على أن هذه الأمة خالدة مع خلود القرآن، ولا بد من عصبة مؤمنة تحمل أعباءه وتعمل بمقتضاه، وتحكم أحوالها به، وتحتاج إليه على الدوام، حتى يأتي وعد الله بتحكيمة وسيادته على كافة المناهج والقوانين الوضعية التي تخالفه.

8. قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾⁽²⁾.

(لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ): لِيُحْزِنُوكُمْ حُزْنًا يَبْدُو فِي وُجُوهِكُمْ، (وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا): لِيُهْلِكُوا وَيُدَمِّرُوا، على ما استولوا عليه.

فهذه الآية من المبشرات على سيادة الإسلام وعودته وظهوره، فاليهود اليوم يستوطنون في بيت المقدس، ويعيشون فيها فساداً، واستيطانهم وتجمعهم هذا هو نهايتهم بإذن الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِي خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ))⁽³⁾.

قال سيد قطب: (ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم (هتلر)، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الولايات، وليسلمن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعد الله القاطع

⁽⁵⁾ ينظر: تفسير ابن كثير: 3/ 578، مختصر ابن كثير: 3/ 72 الإسراء: 7 .

⁽⁶⁾ الإسراء: 7 .

⁽⁷⁾ صحيح مسلم: 4/ 2239 برقم (2922)، مسند أحمد: 2/ 417 برقم (9387) .

وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره قريب⁽¹⁾.

9. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ⁽²⁾، وقد تحقق ذلك للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وسيتحقق للطائفة المنصورة التي ستسير على نهجهم بإذنه تعالى، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وإنما ذكر الله تعالى المعابد وأماكن العبادة دلالة على التوقيت الزمني التي عاشتها الأمم فيما مضى، وختمها بالمساجد، والمساجد لا تكون إلا للمسلمين، وهي الأماكن التي يتعبدون الله فيها، وهذا دليل قرآني مبارك على سيادة الإسلام وعودته بإذنه تعالى، فبقاؤهم ببقاء المساجد، والمساجد آخر العهد مع هذه الدنيا، وهذه الزيادة اليوم في عدد المساجد في أنحاء العالم، ولاسيما الدول الأوروبية التي لا تدين بالإسلام، لأمر يدعو إلى الفرح والسرور، وأن من مميزاته أنه ينتشر بسرعة وأن أتباعه عاملون له باستمرار، لا يكلون ولا يملون. واليوم نجد بعض الدول الأوروبية أخذت تحارب بناء المساجد في دولهم منعاً من انتشار الإسلام، فخرج المسلمون على شكل تظاهرات تندد بتلك الإجراءات اليائسة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن دين الله أخذ ينتشر بين الأوروبيين بشكل كبير.

قال سيد قطب: (فوعده الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف، هو أن ينصر من ينصره.. فمن هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه إنهم هؤلاء الذين إن مكناهم في الأرض فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر)⁽³⁾.

10. قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

(1) الظلال: ج 5 ص 308.

(2) الحج: 39 و 40.

(3) الظلال: ج 5 ص 606.

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا⁽¹⁾.

فهذا وعد من الله عز وجل لعباده المخلصين بالنصر المستمر، هذا الطريق الطويل لا يخلو من دعاة ومجذدين ومبشرين ومجاهدين وتبقى الأرض بإذن الله مليئة بتلكم الأصناف المباركة، حتى يأتي وعد الله في قيام دولة الإسلام مجدداً كما قامت من قبل، فلبنة على لبنة حتى يكتمل البناء ويشمخ ويزهو... ولم يكن كما يقول المثبطون: إن الأمة إلى زوال وإدبار.. فهذا النص الكريم يوحي بأن البناء سيكتمل عندما يأذن الله، وحينها سيتحقق وعد الله الحق.

يقول الدكتور القرضاوي: (يتحدث كثير من الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم وأشرار الساعة حديثاً يوحي مُجْمَلُهُ أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، والخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعائهم مخذلون، ومعنى هذا: أن لا أمل في تغيير، ولا رجاء في إصلاح، وأتينا ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن الأسوأ إلى الأشد، فما من يوم يمضي إلّا والذي بعده شر منه، حتى تقوم الساعة، وهذا لا شك خطأ جسيم وسوء فهم، لما ورد من بعض النصوص الجزئية، وإغفال للمبشرات الكثيرة الناصعة القاطعة بأن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيظهره الله على كل الأديان ولو كره المشركون)⁽²⁾.

والاستخلاف الذي أشارت إليه هذه الآية يعني السيادة في الأرض، ولا يكون ذلك إلّا بتوافر صفات معينة، وهذه الصفات هي: الإيمان، والعمل الصالح، وعبادته سبحانه العباداة الحقة الخالية من الشرك، وهذه الجماعة أو الطائفة أو العصاة التي توافرت فيها هذه الصفات والمقامات، ستبقى تسود العالم ما بقيت متمسكة بأوامر الله عز وجل، ودون ذلك لا يتحقق لها هذا الاستخلاف، وقد أخبر النبي ﷺ بأنه ستكون طائفة من أمته متمسكة بأمر الله عز وجل، وسيكون لها الغلبة والسيادة، فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا

(4) النور: 55.

(1) المبشرات: 30.

يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)) (1).

قال ابن كثير وهو يسرد انتصارات المسلمين: (هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولادة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً منهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة، فإنه ﷺ لم يمّت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكما لها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تمكك بعد أصحمة (رحمه الله وأكرمه)، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمّ شعث ما وهي بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهداها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ﷺ ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة ﷺ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة، ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكما لها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانته غاية الهوان وتفقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة، ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة

(2) صحيح مسلم: 75/7 - 76 برقم (1037).

عظيمة جداً، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي ما زوى لي منها))⁽¹⁾، فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله⁽²⁾.

وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: (قال: كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سرّاً، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة فقدموها، فأمرهم الله بالقتال، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من الصحابة قال: يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: ((لن تصبروا إلاّ يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاّ العظيم محتبياً ليست فيه حديدية))⁽³⁾، وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله تعالى قبض نبيه ﷺ فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجة والشرط وغيروا فغير بهم)⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم: 2215/4 برقم (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 472/4 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم .

(2) تفسير ابن كثير: 290/3.

(3) أخرجه ابن جرير في التفسير: 159/18 من حديث الربيع عن أبي العالية مرسلاً وله شاهده من حديث أبي بن كعب موقوفاً عليه، وأخرجه الحاكم: 401/2، والبيهقي في الدلائل: (7-6/3) والطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين: (58/6 برقم 3371) وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: 83/7 رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. انظر: تخريج أحاديث الظلال: 581/1.

(4) تفسير ابن كثير: 291/3.

وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له والبيهقي في الدلائل عن أبي بن كعب، قال: لما نزلت على النبي ﷺ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، قال: ((بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب))⁽¹⁾.

11. قوله تعالى: ﴿الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿بِئْصَرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽²⁾.

قال سيد قطب: (ثم جاءت النبوة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين. وقد روى ابن جرير بإسناده عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهو أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: (الم، غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين) قالوا: يا أبا بكر: إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين. قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص سبع سنين. فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ((ما بضع سنين عندكم؟)) قالوا: دون العشر، قال: ((اذهب فرايدهم وازدد سنتين في الأجل))، قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك)⁽³⁾.

12. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ

⁽⁵⁾ مسند أحمد: (134/5) برقم (21260) و (21261) وعلق عليه شعيب الارنؤوط: إسناده قوي، شعب الإيمان للبيهقي: 334/5 برقم (6833)، المستدرک للحاكم: 346/4 برقم (7862) وعلق عليه الذهبي في التلخيص: صحيح..

⁽⁶⁾ الروم: 1-5.

⁽¹⁾ الظلال: 437/6.

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا⁽¹⁾ وهذا دليل آخر على قيادة هذه الأمة للعالم من بعده ﷺ، وهذا معنى خاتم النبيين، إنه ختم الرسالات السماوية به ﷺ .

قال سيد قطب: (ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية، لتسير عليها البشرية، وفق آخر رسالة السماء إلى الأرض، التي لا تبدل فيها بعد ذلك ولا تغير ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، فهو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية، وما يصلحها، وهو الذي فرض على النبي ما فرض، واختار له ما اختار)⁽²⁾.

وقال ابن كثير: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس)⁽³⁾، ثم ذكر حديث الإمام أحمد قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ))⁽⁴⁾. وبهذا يظل شرع الله قائماً، يقوم بتطبيقه أشخاص صالحون على منهجه ﷺ، حتى يأتي أمر الله عز وجل بتحكيمة على نطاق العالم، وهذا يدل على أن هذا من المبشرات بعودة الإسلام وسيادته على العالم.

13. قوله تعالى: ﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁽⁵⁾.

يقول الدكتور القرضاوي: (وهذا وعد من الله تعالى يبرز منه في كل زمن ما نشهده بأعيننا، وما نسمعه بآذاننا، وما نحسه بقلوبنا، ومن جملة ذلك ما نراه في عصرنا من دراسات من أهل العلم الطبيعي والرياضي لبيان أوجه جديدة للأعجاز العلمي في القرآن ومن بعض هذه

⁽²⁾ الأحزاب: 40.

⁽³⁾ ينظر: في ظلال القرآن .

⁽⁴⁾ ينظر: الأحكام للآمدني: 4 / 159.

⁽⁵⁾ سنن الترمذي: 533/4 برقم (2272)، ومسند أحمد: 267/3 برقم (13851) وعلق عليه الشيخ شعيب الارنؤوط بقوله: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير المختار بن لفل فل من رجال مسلم .

⁽⁶⁾ فصلت: 53.

الدراسات نظرات جيدة وعميقة اعترف بها عدد من غير المسلمين⁽¹⁾.

ولو تدبرنا هذه الآية المباركة لوجدنا أنها تحتوي على الوعد بظهور الدين متمثلة في الخضوع لقدرة مشرعها، والاعتراف بالحق الذي لا حق بعده، وأن الغلبة لهذا الدين والذي يكون في مجالين أساسيين:

فالأول: المجال الكوني المتمثل في آفاق السموات والأرض من الأدلة العلمية التي تصدع القلوب بالإيمان، وتملؤها باليقين، ولا شك أن ما يتوصل إليه من دراسات الفضاء ومكونات الوجود في الأرض وما فوقها هو مقدمة لهذا الدين بالعودة وتحقيق الوعد في سيادته على العالم.

والثاني: ينصب على المجال الإنساني، وذلك لا يتحقق إلا بإفلاس كل الفلسفات والنظم والشرائع الناشئة عن الفكر البشري، والتقنين الوضعي، وهذا ما نراه اليوم من الإفلاس، وتوجه كثير من الناس اليوم إلى دين خالقهم ومولاهم، وأن دراسات الباحثين والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم وثقافتهم تقطع بأن المستقبل لهذا الدين⁽²⁾.

ونتيجة لهذه الاكتشافات وموافقتها لما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ فإن العشرات من العلماء الغربيين يدخلون الإسلام بين الحين والآخر، تحقيقاً لهذه الآية بأن منهج الله هو الحق، وهو السبيل إلى النجاة من طغيان الماديات على بني البشر.

14. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾⁽³⁾.

ففي هذه الآية إشارة متجددة لحصول النصر على مر الأزمنة، مهما كانت قوة الأعداء، فهو حق متجدد لهذه الأمة، ما بقوا متمسكين بأهداب الشريعة، ثم إن هذه الأمة أمانها وعافيتها بدينها

(7) المبشرات: 30.

(1) هذا القرآن فأين منه المسلمون: 709/2 (بتصرف).

(2) الفتح: 27 و 28.

ما إن تمسكت به، فكلما كانت معه سبحانه فلن يغلبها العدو ويقهرها ويقطع شأفتها فإن الله عز وجل تكفل ببقائها، وبقاء منهجها الحق الذي يؤوي إليه كل عاقل حصيف.

وبقاء البيت الحرام إلى يوم القيامة يؤممه المسلمون في أدائهم للحج والعمرة، وهما - أي الحج والعمرة - جزء من عبادتهم دليل هذه الآية على أن المستقبل لهذا الدين.

قال سيد قطب: (فوعده الله قد تحقق في الصورة السياسية الظاهرة قبل مضي قرن من الزمان بعد البعثة الحمديّة، ووعد الله ما يزال متحققاً في الصورة الموضوعية الثابتة، وما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله في حقيقته، بل إنه هو الدين الوحيد الباقي قادراً على العمل، والقيادة في جميع الأحوال)⁽¹⁾.

فقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، أي يغلب جميع الأديان ويعلوا عليها مهما كانت الأسباب والأحوال.

ويقول سيد قطب أيضاً: (وشهادة الله لهذا الدين، بأنه الهدى ودين الحق هي الشهادة، وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة، ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله، ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته، فأما الديانات الوثنية، فليست في شيء في هذا المجال، وأما الديانات الكتابية، فهذا الدين خاتمها، وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها، وهو الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَسَيَلُّغُ مَلِكُ أُمَّتِي مَا زَوَى لِيَ مِنْهَا))⁽²⁾ ⁽³⁾.

15. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽⁴⁾.

فهذه آية تحدي قد تحدى الله عز وجل بها أعداء الإسلام على مختلف أشكالهم وألوانهم وقوة

⁽³⁾ ينظر: الظلال: 512/7.

⁽¹⁾ صحيح مسلم: 2215/4 برقم (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 472/4 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم .

⁽²⁾ ينظر: الظلال: 85/8.

⁽³⁾ الصف: 8

عداوتهم، فهم في مأزق كلما اصطدموا بصخرة الإسلام.

وقد استعرض سيد قطب (رحمه الله) الحملات العدائية التي قام بها أعداء الإسلام منذ ظهوره وإلى الآن، حيث قال: (ولقد وقف بنو إسرائيل في وجه هذا الدين الجديد وقفة العداء والكيد والتضليل، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حرباً شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم، حاربوه بالاتهام: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ كما قال الذين لا يعرفون الكتاب ولا يعرفون البشارة بالدين الجديد، وحاربوه بالدس والوقعة داخل المعسكر الإسلامي، للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وبين الأوس والخزرج من الأنصار، وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة أخرى، وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما وقع في غزوة الأحزاب، وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى في حديث الإفك على يد عبد الله بن أبي ابن سلول، ثم جرى في فتنة عثمان على يد عدو الله عبد الله بن سبأ، وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير - حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم، ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة، فقد دأبت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الكيد للإسلام، وظلتا تغيّران عليه أو تؤلبان عليه في غير وناة ولا هدنة في جيل من الأجيال، حاربوه في الحروب الصليبية في المشرق، وحاربوه في الأندلس في المغرب، وحاربوه في الوسط في دولة الخلافة الأخيرة حرباً شعواء حتى مزقوها وقسموا تركة ما كانوا يسمونه (الرجل المريض).. واحتاجوا أن يخلقوا أبطالاً مزيفين في أرض الإسلام يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ومكايدهم ضد الإسلام، فلما أرادوا تحطيم (الخلافة) والإجهاز على آخر مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي صنعوا في تركيا (بطلاً).. ونفخوا فيه، وتراجعت جيوش الحلفاء التي كانت تحتل الأستانة أمامه لتحقيق منه بطلاً في أعين مواطنيه، بطلاً يستطيع إلغاء الخلافة، وإلغاء اللغة العربية، وفصل تركيا عن المسلمين، وإعلانها دولة مدنية لا علاقة لها بالدين، وهم يكررون صنع هذه البطولات المزيفة كلما أرادوا أن يضربوا الإسلام والحركات الإسلامية في بلد من بلاد المسلمين، ليقيموا مكانه عصبية غير عصبية الدين، وراية

غير راية الدين⁽¹⁾.

وإنما نقلته بتمامه لصلته بما نقصده من معرفة مراد الله عز وجل من هذه الآية، ورغم هذه المكائد التي ما يزال أعداء الإسلام يكيّدون بها للإسلام ولأهله نقول: إن الله جل في علاه لن يتخلف عن وعده بإتمام نوره على أرضه ومملكته **﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**، وقد صدق وعده، وأتم نوره في حياة رسوله ﷺ وخلفائه، وما يزال وعده قائماً على الرغم من كل ما جرى على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش، لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه التنتة، ولا أن تطمسه كذلك بالنار والحديد في أيدي المخلوقين، وإن خُيل للطغاة الجبارين، وللابطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد. فلن يبلغوا أبداً، والله بالغ أمره ولو كره الكافرون.

المطلب الثاني

الأدلة النبوية الدالة على ظهور الإسلام وسيادته

فلتعلم أخي المسلم أن بين يدي أحاديث نبوية كثيرة دالة بدلالة قاطعة على ظهور هذا الدين على سائر الأديان مجدداً، ومن ثم سيادته وهيمنته عليها، وفيما يأتي أذكر بعضها مما فتح الله عز وجل عليّ، معتمداً على شروحات العلماء قديماً وحديثاً لأجل أن أُقَرَّب الصورة لليائسين والمثبطين من انتصار الإسلام وعودته وظهوره:

1. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **﴿بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ﴾**⁽²⁾، وفي رواية أخرى: قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: **﴿الْتُرَاغُ مِنَ الْقَبَائِلِ﴾**⁽³⁾.

⁽⁴⁾ ينظر: الظلال: 84/8.

⁽¹⁾ صحيح مسلم: 130/1 برقم (145)، سنن الترمذي: 18/5 برقم (2629)، سنن ابن ماجه: 1319/2 برقم (3986) وغيرهم.

⁽²⁾ سنن ابن ماجه: 1320/2 برقم (3988)، ومسنند أحمد: 398/1 برقم (3784)، سنن الدارمي: 402/2 برقم (2755)، مسند البزار: 433/5 برقم (2069)، مصنف بن أبي شيبة: 83/7 برقم (34366). قال شعيب الارنؤوط: إسناد أحمد صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص فمن رجال مسلم وإسناد ولده صحيح.

وفي رواية الطبراني: ((الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ))⁽¹⁾. وفي رواية: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَةُ فِي جُحْرِهَا))⁽²⁾.

قال المبارك كفوري: (أي كما بدأ يعني أهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يخالطونهم هكذا في الآخر (فطوبى للغرباء) أي أولاً وآخرًا (الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي) أي يعلمون بها ويظهرونها بقدر طاقتهم)⁽³⁾.

يقول الدكتور القرضاوي: (فالحديث ينبئ أن ضعف الإسلام في فترة من الفترات، ودورة من الدورات، ولكن سرعان ما ينهض من عثرته ويقوم من كبوته، ويخرج عن غربته كما فعل حين بدأ، فقد بدأ غريباً، ولكنه لم يستمر غريباً، لقد كان ضعيفاً ثم قوي مستخفياً ثم ظهر، محدوداً ثم انتشر مضطهداً ثم انتصر، وسيعود غريباً كما بدأ، ضعيفاً ليقوى، مطارداً ليظهر ثم يظهر على الدين كله، ملاحقاً مضطهداً لينتشر وينتشر ثم ينتصر وينتصر)⁽⁴⁾.

إذن دلالة الحديث - كما يُستنبط من كلام العلماء - أن الإسلام له عودة شاملة ليس على مستوى العبادة والشعائر فحسب، إنما على مستوى تحكيمه وقيادته وولايته على العالم كما بدأ وترعرع في بدايته إلى أن أصبحت الشمس لا تغيب عن سمائه.

ويستفاد أيضاً من قوله ﷺ: ((سَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ)) أي سيعود بنفس الإخلاص وبنفس العنفوان وبنفس القوة الإيمانية لرجاله - أي من طراز الجيل الأول بالصلافة وقوة الشكيمة - فهذا هو وعد الله، ووعدته لن يتخلف إنما هو متحقق لا محالة بإذنه تعالى.

2. عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي

⁽³⁾ مجمع الزوائد: 546/7 برقم (12193) قال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة.

⁽⁴⁾ صحيح مسلم: 131/1 برقم (146).

⁽⁵⁾ ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: 320/7.

⁽⁶⁾ ينظر البحث الكامل في المبشرات للقرضاوي ص 141 وما بعدها.

ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)) (1).

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، قال: ((فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ)) (2).

وفي رواية أبي داود عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ)) (3)، وفي رواية أحمد: ((حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)) (4).
ورواية مسلم: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) (5).

وعند ابن ماجه بلفظ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) (6)، وفي أوله عند الترمذي: ((إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فَيْكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))، قال محمد بن إسماعيل: (قال: علي بن المديني: هم أصحاب الحديث) (7).

وفي رواية البخاري عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ

(1) صحيح البخاري: 2667/6 برقم (6881).

(2) صحيح مسلم: 137/1 برقم (156)، مسند أحمد: 384/3 برقم (15167)، صحيح ابن حبان: 231/15 برقم (6819).

(3) سنن أبي داود: 7/2 برقم (2484)، المستدرک: 81/7 برقم (2392)، المعجم الكبير: 116/18 برقم (228)، والحديث صحيح.

(4) مسند أحمد: 437/4 و 429 برقم (19419) و (19350) قال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(5) صحيح مسلم: 1524/3 برقم (1037).

(6) سنن ابن ماجه: 28/1 برقم (6) عن قرّة بن إياس رضي الله عنه.

(7) سنن الترمذي: 432/6 برقم (2192) عن قرّة بن إياس رضي الله عنه.

قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ))، فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشأم، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشأم، وفي رواية ((مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ))⁽¹⁾.

وروى مسلم وأحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينَ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))⁽²⁾.

وللإمام أحمد رواية بلفظ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ - إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ - حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: ((بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ))⁽³⁾.

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ، قال رسول الله ﷺ: ((لَا يَزَالُ أَهْلُ الْعَرَبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))⁽⁴⁾.

أهل الْعَرَبِ: قال علي بن المديني: (المراد بأهل الْعَرَبِ: العرب، والمراد بالعرب: الدلو الكبير)⁽⁵⁾.

الطائفة المنصورة وما هي صفاتها؟:

لابد لكل من آتاه الله عز وجل علماً أن يبحث في جميع الروايات التي جاءت عن رسول الله ﷺ بخصوص هذه الطائفة، ولا بد من توخي الدقة العلمية، وإتباع سبيل السلف ونهجهم في البحث العلمي، وهذا من باب أولى تحاشياً من الوقوع في الخطأ، فقد اختلف المتأولون في هذه الطائفة، فمنهم من ذهب إلى أن دعاة العقيدة هم الطائفة المنصورة أو الناجية، ومنهم من أولها

(1) صحيح البخاري: 549/8 و 349/17 برقم (3641) و (7460).

(2) صحيح مسلم: 75/7 برقم (1922)، ومسنند أحمد: 103/5 برقم (20479).

(3) مسند أحمد: 269/5 برقم (21816) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: ((قالوا: يا رسول الله، وأين هم... الخ)) وهذا إسناد ضعيف لجهالة عمرو بن عبد الله السيباني الحضرمي.

(4) صحيح مسلم: 1525/3 برقم (1925)، مسند أبي يعلى: 118/2 برقم (783)، مسند البزار: 57/4 برقم (1222).

(5) صحيح مسلم: 1525/3.

بالغرباء، ومنهم من قال أنها تتمثل بالمجاهدين والمرابطين على الثغور . إلى غير ذلك - وكلهم على هدى وخير -، ولكن لابد من عرض أقوالهم وتأويلاتهم حول المقصود بالطائفة المنصورة، وعرض جميع الروايات، والبحث في دقائق ألفاظها ومعانيها.

لهذا رأيت من الضروري أن أتبع أقوال العلماء في شأن هذه الطائفة حرصاً مني للوصول إلى الهدف الذي من أجله أفردت هذه الدراسة.

وقد وقع الاختيار على رواية الإمام أحمد (1)، لنطلق من خلالها في معرفة أوجه الاستنباط والمقارنة مع بقية الروايات التي خصت هذه الطائفة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ - إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ - حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)) قالوا يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ((بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)) (2).

ففي هذا الحديث إخبار منه ﷺ أن الأمة الإسلامية باقية بقاء السموات والأرض ولن تُعَدَمَ من وجود جماعة من المسلمين تتصف بمجموعة من الأوصاف، حتى يتحقق حكم الله على أيدي واحدة منها، بعد أن تتسع رقعتها وتتوحد كلمتها، وهذا لا محالة سيكون بإذن الله تعالى، ويمكن إجمال هذه الصفات بالآتي :

أولاً - الالتزام بشريعة الإسلام: كما في رواية معاوية رضي الله عنه، بقيام تلك الطائفة بأمر الله، ويعني القيام على أصل الدين وأركانه، وهذا لا يكون إلا في بعض الأمة وليس جميعها.

قال السندي: (الطائفة: الجماعة من الناس، والتكثير للتقليل، أو التعظيم لعظم قدرهم ووفور فضلهم، ويحتمل التكثير أيضاً فإنهم وإن قلوا فهم الكثيرون، فإن الواحد لا يساويه الألف، بل هم الناس كلهم) (3).

وهذه الجماعة أو الطائفة تجتمع وتأتلف على منهج واحد، وهذا الذي يفهم من لفظ (عصابة)

(6) المحلة الأحمدية: شرح حديث ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي.....))، إبراهيم عبد الله سلقيني، ص: 13، (بتصرف).

(1) سبق تخريجه .

(2) ينظر: شرح سنن ابن ماجه للسندي: 7/1، المقدمة: باب إتياع سنة رسول الله ﷺ برقم (6).

كما في رواية جابر بن سمرة، وهو التعصب لمنهج واحد وهو الحق.
وهذا المعنى الدقيق في قوله ﷺ ((عِصَابَةٌ)) يؤكد قوله ﷺ بعده ((عَلَى الْحَقِّ))، أو ((عَلَى أَمْرِ اللَّهِ)).

يعني اجتماعهم على منهج الإسلام الوسطي المعتدل الخالي من التشدد والغلو والتنطع، والذي يجمع ولا يفرق ويوحد ولا يمزق، ويصدق على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾، وبهذا يخرج من مراد الآية طائفة الخوارج الذين أوغلوا في قتل المسلمين وتكفيرهم واستحلوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم وذرايهم، فهم بذلك مبتدعون خرجوا على الدين، وعلى خيار المسلمين، وسيأتي تبيان صفة هذه الطائفة الخارجة في معرض الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها ستقع ووقعت فعلاً.
أما نوع الحق الذي تتمسك به هذه الجماعة، أو الطائفة، هو دين الإسلام بكل جزئياته وتفصيله من أصول وفروع.

قال السندي: (أي بأمره، أي شريعته ودينه وترويج سنة نبيه، أو بالجهاد مع الكفار)⁽²⁾.
فرواية أبي هريرة، ومعاوية رضي الله عنهما بلفظ: ((عَلَى أَمْرِ اللَّهِ))⁽³⁾، إذ فسرت الحق ب (أمر الله)، قال تعالى: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾⁽⁴⁾، وأمر الله: أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة النبي ﷺ.
ورواية أحمد من طريق أبي هريرة رضي الله عنه: ((عَلَى هَذَا الْأَمْرِ))⁽⁵⁾، وطريق معاوية رضي الله عنه: ((وَلَكِنْ

(3) البقرة: 143.

(4) شرح سنن ابن ماجه: 7/1 المقدمة، باب إتباع سنة رسول الله ﷺ.

(5) صحيح البخاري: 313/1 في كتاب العلم: باب من برد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (71)، سنن ابن ماجه:

28/1 المقدمة: باب إتباع النبي ﷺ برقم (7) .

(6) التوبة: 48.

(7) مسند أحمد 321/2، في مسند أبي هريرة من باقي مسند الشاميين برقم (8075) .

يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ((⁽¹⁾ قولاً واحداً، وهو ذاته بقاء أمرهم مستقيماً، والمستقيم طريق الحق الذي ليس فيه زيغ ولا ضلال، كما عليه في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ❁ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁽²⁾. أي الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذه لا تكون إلا في الأمة القائمة على أمر الله عز وجل، وهذا الحق لا يمكن تجزئته تبعاً لتنوع ما يقوم به أفراد هذه الأمة من أمر هذا الدين في كل من فقه اختصاصه وعمل به في مصالح الأمة.

ثانياً - الاستمرار بقهر العدو: وذلك في كل صولة وجولة، سواء أكان ذلك معنوياً أم مادياً، حتى وإن أصاب هذه الفئة ضرراً ولأواء. أي أن جهادهم في قهر الأعداء مستمر وبشقي أنواعه، ولا يفهم بأن القهر يجب أن يكون بالقوة العسكرية فحسب إنما يتعدد ليشمل كل شيء، فالوسائل متعددة ومتنوعة، وهذا هو الحاصل اليوم بحمد الله وتوفيقه، فالأعداء في كيد مستمر لهذه الأمة بسبب خوفهم المستمر من عودتها.

وأما زمانهم ومكانهم: فالزمان: من بداية التشريع حتى يأتي أمر الله، والمكان: فهذه الرواية حددت المكان ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وقال معاذ رضي الله عنه: هم بالشام، وجاء في حديث: ((آخِرُهُمْ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ))، وفي رواية سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه: ((.. وَعَقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامِ))⁽³⁾.

وقال ابن حجر: (قلت: ويمكن الجمع بين الأخبار بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس، وهي شامية، ويسقون بالدلو، وتكون لهم قوة في جهاد العدو وحدة، وجد)⁽⁴⁾، بينما تحد

⁽¹⁾ صحيح البخاري: 123/17 في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة ...)) برقم (7312).

⁽²⁾ الفاتحة: 6 و 7 .

⁽³⁾ سنن النسائي: 215/6 برقم (3561).

⁽⁴⁾ ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: 126/17.

رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأهل الغرب ⁽¹⁾، وهذا تشريف من الله عز وجل للمكان، ومن فيه من المسلمين، أما غيرها من الروايات فلم تحدد مكاناً معيناً، وهذا من منة الله سبحانه على عباده أن يحفظ لهم دينهم بتثبيت طائفة من المسلمين على دينه، ومنحها القوة الإيمانية، مما يجعلهم على الدوام ينافحون ويدفعون عن بيضة الإسلام مهما اشتدت الخطوب والمآسي.

ولكن هذا التقييد لا شرط أن يكون في أهل الشام لوجود روايات أخرى لم تحدد الجهة كما قلنا سابقاً.

وأما تخصيص أهل الشام، فيعود لما يجري على واقع المسلمين في فلسطين من الحن والفتن التي لم تحصل لغيرهم، فقد مر على أهل الشام حوادث قد ذكرها التاريخ، فقتال المغول الوثنيين، وهجمات الصليبيين، وجهاد المسلمين لليهود الذي لا يزال مستمراً، ثم ما سيكون من قتال الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وما يحدث عليهم اليوم، كل ذلك سبباً في تحديد المكان، والله أعلم في حصول المزية لهم من حيث العموم، ثم جاء الحديث ليؤكد تلك المزية في أوصاف مخصوصة بعينها.

ثالثاً - عدم التأثير بخلاف المخالفين، ولا يارجاف المرجفين: فماهيتها: أنها لا تتأثر بخلاف المخالفين، فقد اختلف أهل العلم في تحديد صفة هذه الطائفة، فالإمام البخاري سماها بأهل العلم، ومستنده بذلك قول معاوية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)) ⁽²⁾.

ويؤيد ذلك قول الكرمانى (رحمه الله) في شرحه لصحيح البخاري: (فإن قلت: ليس في الباب ما يدل على أنهم أهل العلم على ما ترجم عليه، قلت: نعم فيه، إذ من جملة الاستقامة أن يكون فيهم الفقيه والمتفقه، ولا بد منه لترتبط الأخبار المذكورة بعضها ببعض) ⁽³⁾.

⁽⁵⁾ صحيح مسلم: 77/7 برقم (1925).

⁽¹⁾ سبق تحريجه.

⁽²⁾ صحيح البخاري بشرح الكرمانى: 58/25.

أما الإمام الترمذي (رحمه الله) فقد قال: قال محمد بن إسماعيل البخاري قال: قال علي بن المديني: (هم أصحاب الحديث) (1).

وأما الإمام أحمد فيقول: (إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم) (2).

وقد علق على ذلك ابن حجر في فتح الباري بقوله: (وزعم بعض الشراح أنه استفاد ذلك من حديث معاوية، لأن فيه ((مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، وهو غاية البعد) (3). وقال القاضي عياض موضحاً مراد الإمام أحمد: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث) (4).

ويتضح من قول القاضي عياض (رحمه الله) إنه يزيل الإشكال الحاصل في تخصيص أهل الحديث دون غيرهم. وذهب السيوطي: إلى أنهم المجتهدون، فلا يخلو الزمان من مجتهد حتى تأتي أشرار الساعة الكبرى (5).

وعلق السدي على كلام السيوطي بقوله: (كأن السيوطي رحمه الله تعالى قصد بذلك التنبيه على صحة دعواه، فإنه رحمه الله كان يدعي الاجتهاد المطلق، وأهل عصره أنكروا، لكن كثيراً ممن جاء بعده سلم له بذلك) (6).

وقال ابن تيمية: (بل هم الوسط في فرق الأمة. كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم

(3) سنن الترمذي: 432/6 برقم (2192).

(4) ينظر: معرفة علوم الحديث: الحاكم: ص 3.

(6) ينظر: فتح الباري: 124/17.

(7) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: 350/6.

(8) ينظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: 780/2.

(9) ينظر: شرح سنن ابن ماجه للسندي: 7/1، المقدمة.

وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج⁽¹⁾.

وأما الإمام النووي فقد قال معمماً القول: (قلت ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون

⁽¹⁾ ينظر: شرح العقيدة الواسطية: 124. والجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان، الذين غلوا وأفرطوا في التزيه حتى نفوا أسماء الله وصفاته حذراً من التشبيه بزعمهم وبذلك سموا معطلة، لأنهم عطلوا الله من أسمائه وصفاته. وأهل التمثيل المشبهة: سموا بذلك لأنهم غلوا وأفرطوا في إثبات الصفات حتى شبهوا الله بخلقه ومثلوا صفاته بصفاتهم. والجبرية: نسبة إلى الجبر، لأنهم يقولون: إن العبد مجبور على فعله، فهم غلوا في إثبات أفعال الله حتى نفوا أفعال العباد وزعموا أنهم لا يفعلون شيئاً وإنما الله هو الفاعل والعبد مجبور على فعله، فحركاته وأفعاله كلها اضطرارية كحركات المرتعش، وإضافة الفعل إلى العبد مجاز. والقدرية: نسبة إلى القدر، وهؤلاء غلوا في إثبات أفعال العباد، فقالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه بدون مشيئة الله وإرادته، فأفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، فأنه لم يقدرها ولم يردها، وإنما فعلوها هم استقلالاً. والمرجئة: نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير، سموا بهذا الاسم، لأنهم أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فعندهم أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرض للوعيد، فهم تساهلوا في الحكم على العصي وأفرطوا في التساهل حتى زعموا أن المعاصي لا تنقص الإيمان ولا يحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق، لأن الإيمان عندهم هو تصديق القلب فقط. والوعيدية: هؤلاء قالوا بإنفاذ الوعيد على العصي وشددوا في ذلك حتى قالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو مخلد في النار، وحكموا بخروجه من الإيمان في الدنيا. والحرورية: هم الخوارج سموا بذلك نسبة إلى حروري قرية بالعراق اجتمعوا فيها حين خرجوا على علي رضي الله عنه. والمعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الإمام حسن البصري رحمه الله، وانحاز إليه أتباعه بسبب خلاف وقع بينهما في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين، فقال الحسن رحمه الله عن واصل هذا: إنه قد اعتزلنا، فسموا معتزلة. فمذهب الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين مذهب متشدد حيث حكموا عليه بالخروج من الإسلام، ثم قال المعتزلة: إنه ليس بمسلم ولا كافر، بل هو بالمرتبة بين المتزلتين، وقال الخوارج: إنه كافر وأنه إذا مات فإنه خالد في النار، على خلاف الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين فقد حكموا عليه بالخروج من الإسلام. والرافضة: سموا بذلك، لأنهم قالوا لزيد بن علي بن الحسين تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر، فأبى وقال معاذ الله فرفضوه فسموا بالرافضة، ومذهبهم أنهم غلوا في علي رضي الله عنه وأهل البيت وفضلوهم على غيرهم ونصبوا العداوة للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولبقية الصحابة فلعنوهم وربما كفروهم، أو كفروا بعضهم.

بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض⁽¹⁾.

وقال الدكتور القرضاوي: (إن الخير سيستمر في هذه الأمة، وأنها لا تخلو من قائم لله بالحجة، ومن ناصر للحق، مستمسك به، حتى تقوم الساعة، وأن هذه الطائفة المنصورة باقية حتى يأتي أمر الله، وإن أصابها من لأواء وأذى، يؤكد هذا ما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالٍ، أَلَّا يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا، وَأَلَّا يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَلَّا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ))⁽²⁾.

وما ذهب إليه الإمام النووي (رحمه الله) في أن هذه الطائفة المنصورة مفرقة بين أنواع المؤمنين الصادقين هو المعيار -والله أعلم- الذي يمكن اعتماده في فهم الطائفة من مجموع الروايات، ولا يمكن تخصيصها بنوع واحد كما تقدم، فهذا يجاهد أعداء الله ويذب عن حمى الإسلام، وهذا مُحدِّث يذب عن سنة رسول الله ﷺ، وهذا يقرأ القرآن ويقرؤه ويعلمه آناء الليل وأطراف النهار، وهذا زاهد يجاهد نفسه ويسعى لتطهيرها من أدران الدنيا، وذاك قائم بأمر الحسبة... الخ.

وكل هؤلاء وغيرهم يشكلون الطائفة المنصورة، ولا بد لهذه الأصناف من التفقه في الدين كي يكون عملها موافقاً لما جاء به الكتاب والسنة، أما حصرها بمسميات معينة محددة، فهذا لا ينبغي، إذ لا يستقيم أمر الأمة، ولا يحصل لها الثبات، ولا النصر، ولا الاستخلاف إلا مع الفقه في عموم الدين، كل بحسبه، ومن كمال الفقه في الدين رسوخ الإيمان مع العلم والعمل، فالعلم والعمل بلا إيمان وصدق، فهو محض نفاق، وضعف الإيمان لا يكون معه ثبات عند خذلان الناس، وعلم بلا عمل وجوده وعدمه سواء، بل لا يكون نصر ولا غيره بلا عمل، وهذا كله شامل لكل أنواع الخير التي ذكرها الإمام النووي، إذ الفقه في الدين ليس خاصاً بعلم الفقه الذي هو العلم بالفروع، فالأمة بحاجة إلى طبيب مسلم، ومهندس مسلم، وعالم ذرة مسلم، وزراعي مسلم، وصناعي

⁽²⁾ ينظر: شرح صحيح مسلم: 7/77 المقدمة.

⁽³⁾ المبشرات: 44، والحديث في سنن أبي داود: 500/2 برقم (4253) قال عنه الشيخ الألباني: ضعيف لكن الجملة

الثالثة صحيحة.

مسلم، وسياسي مسلم، واقتصادي مسلم.. وهكذا، حتى تكتمل الدائرة، ويكون للمسلمين دور في صناعة الحياة أو تحكيمه ليتحقق الخير والعدل، ومن أحسن من دين الله ديناً.

رابعاً - ثباتهم على ذلك حتى تنتهي آجالهم، أو يأتيهم أمر الله عز وجل:

يعني ثباتهم على الحق في مواجهة الحن والفتن والشدائد مهما كان نوعها وشكلها، فلا يؤثر في نفوسهم ما يفعله الكفار والمنافقون والمرجفون والمخذلون، ولا يضرهم خلاف من خالفهم، فهم ثابتون راسخون كرسوخ الجبال الراسيات، ولا يخافون في الله عز وجل لومة لائم، لا يخافون إلا الله، بل يزيدهم بالله يقيناً وإصراراً على المواجهة مهما كلف ذلك، فهم في فداء دائم لا ينقطع ولا يفتر، ويبقى حالهم كذلك حتى تنتهي آجالهم، أو يأتي أمر الله، وأمر الله: ريح طيبة لينة، كريح المسك تقبض أرواح المؤمنين، كما في رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال عصاة من أمتي يُقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك))، فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله رجلاً كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة⁽¹⁾، قال الإمام النووي: (أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب يوم القيامة وعند تظاهر أشراتها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراتها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم)⁽²⁾.

وقال ابن حجر: (المراد بأمر الله: هبوب تلك الريح، وأن المراد بقيام الساعة: ساعتهم)⁽³⁾.

فيكون ترتيب الحوادث كآتي: قتال الدجال هو آخر قتال فاصل بين الإسلام والكفر، ثم ينتهي بموت يأجوج ومأجوج طغيان الباطل وظهوره، ثم ظهور عالمي للإسلام، ثم يأتي أمر الله وهو الريح الطيبة، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق، والله أعلم.

⁽¹⁾ صحيح مسلم: 76/7، كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة..)) برقم (1924).

⁽²⁾ شرح صحيح مسلم للنووي: 409/1.

⁽³⁾ فتح الباري شرح صحيح البخاري: 125/17.

3. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))، وفي رواية ((وَأَمَّكُمْ))، ورواية أخرى ((فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ))، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة ((وَأِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))، قال ابن أبي ذئب: (تدري ما أممكم منكم؟)، قلت: تخبرني، قال: (فَأَمَّكُمْ بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ) (1).

وهذا الحديث واضح المعنى والدلالة على أن عيسى عليه السلام سيكون حاكماً بين يدي الساعة بكتاب الله عز وجل وسنة محمد ﷺ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)) (2).

قال النووي معلقاً عليه: ((حكماً)) أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة، والمقسط العادل (3).

ودلالة الحديث على أنه في آخر الزمان يكون هذا وبين يدي الساعة، ولكن لابد من تهيئة تدريجية، وظهور أسباب، وبشارات عودة، وأرضية إسلامية، ومقدمات، فعبارة ((ليوشكن أن ينزل فيكم))، وكذلك دلالة الحديث المتقدم ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))، وقد أجزل الشيخ القرضاوي بعضاً من هذه المقدمات نذكر منها (4):

- أ- ظهور الصحوات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وعلى أشكال متعددة، مما أقلق أعداء الإسلام فاضطروهم إلى الحملات العسكرية بدعوى القضاء على الإرهاب المفتعل، ليكون لهم ذريعة في غزوها كما حدث للعراق وأفغانستان.
- ب- انهيار الأنظمة الشمولية الواحدة تلو الأخرى، وخصوصاً الشيوعية التي زعمت يوماً

(1) صحيح البخاري: 1273/3 برقم (3265)، صحيح مسلم: 135/1 برقم 244 و 245 و 246 - (155).

(2) شرح صحيح مسلم للنووي: 549/2، والحديث رواه مسلم برقم 242 - (155).

(3) المصدر نفسه .

(4) ينظر: المبشرات ص 156.

بأنها ستغزو العالم، وترث الأديان، ولكن شاء الله أن تنهار وينهار معها نظامها، فبدأ السقوط بالاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية وانتهاءً بألبانيا.

4. عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَثْرَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكُهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوًّا مِنْ سُوءِ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَأَنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ وَإِنِّي أُعْطِيتُ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوًّا مِنْ سُوءِ أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَاقُطَارِهِمْ، أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))⁽¹⁾.

قال الإمام النووي: (أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي الإسلام فله الحمد والشكر على جميع نعمه)⁽²⁾.

وقال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: (قوله ((فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ)) قال الجوهري: بيضة كل الشيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث: أن الله تعالى لا يسلط على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من باقطار الأرض وهي جوانبها، وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا)⁽³⁾.

5. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا))⁽⁴⁾، وأورد ابن جرير عن أبي منبه الخولاني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته))⁽⁵⁾، وأخرج البيهقي: قال

⁽⁵⁾ صحيح مسلم: 2215/4 - 19 - (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 4/472 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم . ومعنى زوى: جمع.

⁽¹⁾ شرح صحيح مسلم: 231/18.

⁽²⁾ ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 231.

⁽³⁾ سنن أبي داود: 4/512 برقم (4291) وصححه الشيخ الألباني برقم (601).

⁽⁴⁾ سنن ابن ماجه: 5/1 برقم (18) قال عنه الشيخ الألباني: حسن.

أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعي، لأنه ذكر في الخبر عن النبي ﷺ أن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من يُعَلِّم الناس السنن، وينفي عن النبي ﷺ الكذب، فنظرنا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي (1).

قال ابن كثير: (وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر والله أعلم: أنه يعم حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين.. إلى غير ذلك من الأصناف) (2).

وقال ابن حجر في الفتح: (ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكرنا في الطائفة وهو متجه فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعي ذلك في عمر بن عبد العزيز) (3).

وقال القرضاوي: (وكلمة ((مَنْ)) في الحديث تشمل (المفرد)، كما قالوا عن عمر بن عبد العزيز، والشافعي، والغزالي، كما تشمل الجمع، كما ذهب إليه بعض الشراح، وهو ما نختاره، فقد يكون المجدد جماعة دعوية أو تربوية أو جهادية) (4).

ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أن الله عز وجل قد جدد هذا الدين بكثير ممن ظهروا، سواء أكانوا علماء أم فقهاء أم قادة أم دعاة أم مصلحين، وجدده أيضاً بجماعات إسلامية كثيرة ظهرت على مر الدهور وكر العصور، حملت هذا الدين ونافحت عنه حتى سقط الكثير من أتباعها شهداء في سبيل الله وهم ينافحون عن بيضة الإسلام.

6. عن نافع بن عتبة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحَهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ،

(5) انظر: الدر المنثور: 768/1، السلسلة الصحيحة: 148/2.

(6) النهاية في الفتن والملاحم: 27/1.

(7) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: 295/12.

(8) المبشرات: 45.

فَيَفْتَحَهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ، فَيَفْتَحَهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحَهَا اللَّهُ))، قال نافع : يا جابر: لا نرى الدجال يخرج حتى تُفتح الروم (1).

فهذا التتابع في الغزوات ابتداءً من غزوة جزيرة العرب، وحتى ظهور الدجال وقتله، لدليل لا يقبل الشك عن بقاء الإسلام حياً لن يموت حتى وإن أصابه ضعف ووهن ولاواء، وأنه سيبقى في عطاء متجدد رغم كل العاديات والصواعق.

وإني لأجزم أن الأعداء أدركوا ذلك ومنذ قيام الإسلام، وقد ملئت عقولهم حقاً وحقداً عليه، فهم مشغولون بتدميره سراً وجهراً وعلى مختلف الأصعدة فكرياً وعسكرياً وأخلاقياً، ولكنهم - بحمد الله ومثته - لم يبلغوا ولن يبلغوا هدفهم مهما حاولوا، فهم في كل مرة يغيرون عليه بوسائل جديدة أكثر تفنناً وفتكاً وقوة، فتخيب آمالهم ومكائدهم وخططهم رغم ما يلحقونه بالمسلمين من أذى وهلاك، ولكنه أذىً وقتياً وسرعان ما يشتد عودهم من جديد وتظهر صحتهم، وهكذا يستمر الكر والفر حتى يأتي وعد الله وهم صاغرون مخذولون مغلوبون، كيف لا وهذا دينه سبحانه، فهو الذي يهيئ لانتصاره أسباب النصر والفوز.

7. عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ - يعني أمر الإسلام - مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَذْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعِزٍّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذِلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يَعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذِلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ))، وفي رواية المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَذْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بَعِزٍّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذِلِّ ذَلِيلٍ)) (2)، ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: انتشاره في الأرض كلها، حيث يبلغ الليل والنهار، ودخول هذا الدين الحواضر والبادي، وإنما ذكر المدر - أي من الحجر - وذكر الوبر - أي الشعر - وهي بيوت البوادي.

(1) صحيح مسلم: 2225/4 برقم 38- (2900)، مسند أحمد: 178/1 برقم (1541)، صحيح ابن حبان: 61/15 برقم (6672)، المعجم الأوسط: 93/4 برقم (3691) .

(2) مسند أحمد: 103/4 برقم (16998) علق عليه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح ابن حبان: 91/15 برقم (66699)، المستدرک للحاكم: 476/4 برقم (8324) علق عليه الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم .

لهذا كله، فإن رسالة الإسلام ستبلغ الآفاق بوسائل الأعداء المتعددة وبالآلة التي صنعوها وقد بلغت، فدخلت مئات الأوروبيين والأمريكيين وغيرهم الإسلام خير شاهد نحتج به على ذلك. يقول الدكتور عبد الودود شليبي: (لقد تنبأ المفكر البريطاني برنادشو عن انتشار الإسلام في المائة القادمة، بحيث تجد الحضارة الغربية نفسها مضطرة إلى معاشته وتقبله) ⁽¹⁾.

ويقول الدكتور عبد الرشيد: (ودخلت مئات الألوف من الناس في أوروبا وأمريكا في الإسلام من المبشرات، فالكثرة الغالبة من المثقفين: أطباء ومهندسين وعلماء، ولا نقول: إن أحوال الأمة الإسلامية قد اجتذبتهم إلى الإسلام، فهذه الأحوال أجدر أن تنفرهم وتبعدهم، إنما الذي اجتذبهم هو الإسلام ذاته بما فيه من نصاعة الحق) ⁽²⁾.

8. عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي: يقول: ((يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا))، فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: ((كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ))، وفي رواية أبي داود ((لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ))، وفي رواية أخرى ((لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُسْتَقِيمًا أَمْرُهَا حَتَّى يَمُضِيَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ))، قالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ((ثُمَّ يَكُونُ الْهَرَجُ)).

قال ابن كثير: (ليس المراد من هؤلاء الإثني عشر الذين تنابعت ولايتهم سرداً إلى أثناء دولة بني أمية، لأن حديث سُفِينَةَ ((الْخَلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً)) (أخرجه أبو داود، والترمذي) ⁽³⁾، وقال الترمذي: حديث حسن يمنع من هذا المسلك، وأن البيهقي قد رجحه، وقد بحثنا معه في كتاب دلائل النبوة من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، والله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمة الإثني عشر، وجد منهم الأئمة الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي،

⁽³⁾ إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة ص 11 .

⁽¹⁾ لماذا اعتنقنا الإسلام ديناً ص 12 - المقدمة .

⁽²⁾ صحيح مسلم: 1452/3 برقم 5- (1821)، سنن الترمذي: 503/4 برقم (2226)، صحيح ابن حبان:

392/15 برقم (6943)، المعجم الكبير: 24/3 برقم (136)، ولفظ أبي داود في سننه: 622/2 برقم (4646)

((خلافة النبوة ثلاثون سنة)).

وابنه الحسن بن علي أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز، كما هو عند كثير من الأئمة وجمهور الأمة، والله الحمد، وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس، وسيوجد بقيتهم فيما يستقبل من الزمان، حتى يكون منهم المهدي المبشر في الأحاديث الواردة فيه⁽¹⁾. فهذا التعبير الوافي والحيوي يغني عن الاستزادة في الشرح والله أعلم.

9. قال النبي ﷺ : ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة))، ثم سكت⁽²⁾.

قال الدكتور القرضاوي: (والملك العاص، وفي رواية ((العضوض)) هو الذي يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنه له أنياباً تعض، أما ملك الجبرية: فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا، فهذا الحديث يبشر بانقشاع عهود الاستبداد والظلم والطغيان، وعودة الخلافة الراشدة المتبعة لمنهاج النبوة في إقامة العدل والشورى، ورعاية حدود الله وحقوق العباد).

الحوادث الغيبية التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها ستقع بعده:

لقد ورد عن الصادق المصدوق ﷺ أخباراً غيبية عن حوادث ستقع بعده، فهي على قسمين: قسم قد وقع فعلاً، وطابق ذلك عما أخبر، وقسم ثانٍ سيقع فيما يستقبل من الزمان إلى قيام الساعة، ولا محالة أنها ستقع بإذنه تعالى، وإنما أردت أن أذكرها تبياناً للناس بأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولأجل أن نعلم جميعاً بأن ما أخبر عنه النبي ﷺ سيتحقق لا محالة

(3) النهاية في الفتن والملاحم: 16/1. وليتنبه القارئ الكريم إلى أن المهدي الذي ذكر في كتب أهل السنة والجماعة ليس هو المهدي الذي ذكر في كتب الشيعة الاثني عشرية.

(4) مسند أحمد: 273/4 برقم (18430) قال شعيب الارنؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 189/5 رواه أحمد والبخاري ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات.

كدليل على عودة الإسلام وسيادته وظهوره على العالم مجدداً، وفيما يأتي نذكر بعضاً من القسمين:

القسم الأول: الأخبار التي وقعت فعلاً وطابق ذلك عما أخبر ﷺ:

1. أخبر النبي ﷺ بأن أبا بكر رضي الله عنه سيلي أمر هذه الأمة بعده ﷺ، وقد تحقق ذلك، فعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه قالت: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهُا تَقُولُ الْمَوْتُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ))، فَكَانَ الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ (1).

2. وأخبر النبي ﷺ عن ستة أشياء ستقع بين يدي الساعة، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: ((أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)) (2). ففي هذا الحديث إشارة منه ﷺ إلى فتح بيت المقدس، وقد تم ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

3. وأخبر النبي ﷺ بخروج قوم من أمته محذراً منهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، قال رسول الله ﷺ: ((يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ

(1) صحيح البخاري: 1338/3 برقم (3459). النهاية في الفتن والملاحم: 8/1.

(2) صحيح البخاري: 198/1. مسند أحمد: 25، 27/6.

الإسلام كما يَمْرُقُ سَهْمٌ مِنَ الرَّمِيَةِ⁽¹⁾.

فالنبي ﷺ يصف هؤلاء القوم بأنهم مارقون عن الدين وعن جماعة المسلمين، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون: قال الله وقال رسوله، ولكن إيمانهم لا يجاوز حناجرهم وأن عملهم لا يوافق قولهم، فقد روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سَيَخْرُجُ قَوْمٌ آخِرَ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ))⁽²⁾، وفي رواية مسلم من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: ((يَتِيهِ قَوْمٌ قَبْلَ الْمَشْرِقِ مُحَلَّقَةٌ رُؤُوسُهُمْ))⁽³⁾.

قال الإمام النووي: (أي يذهبون عن الصواب وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم)⁽⁴⁾.

فهؤلاء الخوارج صفتهم أنهم حُرِّمُوا معرفة الحق والاهتداء إليه، وأنهم يتدينون بقتل المسلمين ويتركون عبدة الأوثان والصلبان، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسَّمَهَا رسول الله ﷺ بين أربعة أنفر. فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، محلق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: ((فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِنَّ عَصِيَّتَهُ، أَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي)) قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، لَنْ أَذْرَكْتَهُمْ لِأَقْتُلَنَّهُمْ

⁽³⁾ صحيح البخاري: 1321/3 برقم (3414)، صحيح مسلم: 741/2 برقم 148 – (1064)، سنن أبي داود: 657/2 برقم (657)، سنن الترمذي: 481/4 برقم (2188)، سنن النسائي: 119/7 برقم (4103)، مسند أحمد: 156/1 برقم (1345).

⁽⁴⁾ صحيح البخاري: 2539/6 برقم (6531).

⁽¹⁾ صحيح مسلم: 756/2 برقم 160 – (1068)، مسند أحمد: 486/2 برقم (16019).

⁽²⁾ شرح صحيح مسلم: 175/7.

قَتْلَ عَادٍ) (1).

وقد حرّض النبي ﷺ على قتلهم وقتالهم إن هم ظهروا، فإنهم لما ظهروا في زمن الإمام علي ﷺ قاتلهم، ولا يزال هؤلاء يظهرون ولكن على أشكال مختلفة، وقد ظهروا اليوم، ليس فرادى وإنما على شكل تنظيمات كبيرة، وبدعم من جهات دولية تبغي القضاء على أهل السنة والجماعة، فقتلوا كثيراً من المسلمين، واستحلوا أعراضهم وأموالهم، ولا سيما العلماء والمثقفين، وكانت مقولتهم: (إن كانوا من أهل الجنة فقد عجلنا لهم بدخولها وأرحناهم من الدنيا ومتاعبها، وإن كانوا من أهل النار فقد أرحنا العباد منهم). فهؤلاء شرار الخلق أعادنا الله منهم ومما يفعلون. فخوارج اليوم كخوارج الأمس، فهم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، فالصفات واحدة، تنطبق على معظم المنفذين منهم كالقتل والإجرام، والتشدد والأسلوب الجاف والغلظة في القول، ويصرفون النصوص الشرعية حسب أهوائهم ونزواتهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

4. وأخبر النبي ﷺ بأن المسلمين سيفتحون مصر، وقد تحقق لهم ذلك، فعن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)) (2)، وقد افتتحها عمرو بن العاص ﷺ سنة عشرين، أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وفي رواية مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ: ((إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)) (3).

5. وأخبر النبي ﷺ بأن مملكتي فارس والروم ستذهبان إلى غير عودة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي

(3) صحيح البخاري: 1219/3 برقم (3166)، ومسلم 741/2 برقم 143- (1064)، سنن أبي داود: 656/2 برقم (4764)، سنن النسائي: 87/5 برقم (2578)، مسند أحمد: 4/3 برقم (11021). وضئى: هو الأصل والعقب، وقيل هو كثرة النسل، وقيل: النسل.

(4) المستدرک للحاکم: 603/2 برقم (4032) علق عليه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم، والطبراني في المعجم الكبير: 61/19 برقم (112).

(1) صحيح مسلم: 1970/4 برقم 226 - (2543)، صحيح ابن حبان 67/15 برقم (6676)، سنن البيهقي الكبرى: 206/9 برقم (18519).

بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُتْرَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (1).

قال ابن كثير في النهاية: (وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لأهل الشام، وهو أن يد ملك الروم لا تعود إليها أبد الآبدين، ودهر الداهرين إلى يوم الدين، وأما كسرى فإنه سلب عامة ملكه في زمن عمر ثم استؤصل ما في يده في خلافة عثمان، وقتل في ثنتين وثلاثين ولله الحمد والمنة) (2).

والإشارة في هذا الحديث إلى قيصر وكسرى، لأنهما رمزان لتلكما الإمبراطوريتين العظيمتين التي ملكتا الأرض في حينه.

6. وأخبر النبي ﷺ بأن عمار بن ياسر رضي الله عنه سيقُتل، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لعمار: ((تَقُتْلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاقِيَةُ)) (3).

وقد تحقق ذلك كما أخبر ﷺ في معركة صفين التي جرت بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

7. وأخبر النبي ﷺ بأن الله عز وجل سيصلح بالحسن بن علي رضي الله عنهما بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ووقع هذا الأمر فعلاً، فإن الحسن رضي الله عنه تنازل بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: ((إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) (4).

(2) صحيح البخاري: 1135/3 برقم (2952)، صحيح مسلم: 2237/4 برقم (2919)، سنن الترمذي: 497/4 برقم (2216)، مسند أحمد: 233/2 برقم (7184).

(3) النهاية في الفتن والملاحم: 9/1.

(4) صحيح مسلم: كتاب الفتن برقم (2916)، مجمع الزوائد: 484/7 قال: رواه الطبراني وأحمد باختصار، وأبو يعلى بنحو الطبراني والبخاري عن عبد الله بن عمرو وحده ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات.

(5) صحيح البخاري: 962/2 برقم (2557)، 1369/3 برقم (3536)، سنن أبي داود: 511/2 برقم (4290)، سنن الترمذي: 658/5 برقم (3773)، وسنن النسائي: 107/3 برقم (1410)، مسند أحمد: 37/5 برقم (20408).

8. وأخبر النبي ﷺ بأن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ستموت في غزوة بحرية، وتحقق ذلك سنة (27هـ) مع معاوية رضي الله عنه حين استأذن عثمان رضي الله عنه في غزو قبرص فأذن له، وكانت أم حرام مع زوجة معاوية فاختة بنت قرظة، فركب المسلمون في المركب حتى دخلها وفتحها قسراً وتوفيت أم حرام في هذه الغزوة البحرية. والحديث رواه البخاري عن أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا)) قالت أم حرام: فقلت يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: ((أَنْتِ فِيهِمْ)) ثم قالت: ثم قال النبي ﷺ: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ)) (1).

9. وأخبر النبي ﷺ بظهور نار من أرض الحجاز تضيئ لها أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام. فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تَضِيئُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبَصْرَى)) (2).

قال ابن كثير: (ظهرت نار بأرض المدينة سنة (654هـ) استمرت شهراً وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعاراً كان طولها أربعة فراسخ وعرضها أربعة أميال، وقال بعض الأعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز) (3).

القسم الثاني: الحوادث التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها ستقع فيما يستقبل من الزمان: وإني لأجزم يقيناً بأن كل ما قاله رسول الله ﷺ سيقع بإذنه تعالى، لأنه ﷺ المبلغ عنه سبحانه وتعالى، وفيما يأتي بعضها:

1. أخبر النبي ﷺ عن بعض أشراط الساعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد بعدي؟ سمعت منه: ((أَنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُو الزُّنَا، وَتُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى

(1) صحيح البخاري: 1069/3 برقم (2766) ومعنى أوجبوا: وجبة لهم الجنة.

(2) صحيح البخاري: 2605/6 برقم (6701)، صحيح مسلم: كتاب الفتن برقم (2902).

(3) نهاية الفتن والملاحم: 18/1.

يَكُونُ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمَ وَاحِدَةٍ⁽¹⁾.

2. وأخبر النبي ﷺ عن شرور ستكون في أمته، فعن عبد الله بن عمرو قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: ((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرُكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فِشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَمَّتُهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ وَيَجْهَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ))⁽²⁾.

3. وأخبر النبي ﷺ عن فتن ستظهر في الأوساط الإسلامية، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((يَتَغَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ))، قالوا: يا رسول الله: أيما هو؟ قال: ((الْقَتْلُ، الْقَتْلُ))⁽³⁾. وما نراه اليوم من كثرة القتل والموت دليل هذا الحديث، فالإنسان يُقتل ولا يدري لماذا قُتل، والقتل اليوم إما أن يكون بسبب التجاذبات السياسية والعرقية والطائفية المقيتة في داخل البلد الواحد، وإما أن يكون بسبب الصراع الديني والفكري بين البلدان والجماعات، بل هناك منظمات سرية عالمية وإقليمية تمارس القتل وتحت مظلات وأهداف مختلفة، ناهيك عن الحروب العسكرية الدولية، فالخطب جلل والمصاب أليم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

4. وأخبر النبي ﷺ عن ظهور الفتن من جهة المشرق، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام إلى جنب المنبر، وهو مستقبل المشرق فقال: ((أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ

⁽⁴⁾ صحيح البخاري: برقم (81)، صحيح مسلم: برقم (10)، سنن الترمذي: برقم (2205)، سنن ابن ماجه: برقم (4045)، مسند أحمد: 176/3.

⁽⁵⁾ سنن ابن ماجه: برقم (4019) حسنه الألباني .

⁽¹⁾ صحيح البخاري: برقم (7060)، صحيح مسلم: كتاب الفتن (18)، سنن أبي داود: برقم (4225)، مسند أحمد: 233 / 13.

(الشَّيْطَانُ)) أو قال: ((قَرْنُ الشَّمْسِ))⁽¹⁾.

وأكثر الفتن اليوم تأتينا من جهة الشرق، والتي تريد تلك الدول أن تحقق مخططها المذهبي، لتشمل العراق وسوريا ولبنان والسعودية ومصر والسودان والمغرب العربي ودول الخليج والأردن، وذلك بدفعها الأموال الطائلة لعملائها هنا وهناك من أجل تحقيقه، وكذلك تمد منظمات الإرهاب العالمي في قتل المسلمين السنة، والرافضين لهم من عوام الشيعة في العراق، وقد تحقق ذلك فعلاً وثبت بالدليل القاطع لدى القاضي والداي الولاء الإيراني لليهود، وأن أمريكا تنفذ ما يخطط لها، وأن ما يدور وراء الكواليس أمر جلل، يجب أن ينتبه له المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وقد ظهر للعيان كيف أن رئيس جمهوريتهم يستقبل حاخامات اليهود ويقبلهم ويجالسهم ويتسلم هيكلاً سليمان منهم، وكذلك سفير إيران يلتقي السفير اليهودي، وقد بُث ذلك علناً عبر القنوات الفضائية، فلا نعتقد أن ينكر علينا ما نقول.

5. وأخبر النبي ﷺ عن نزاع وقتال عند نهر الفرات لانحساره عن جبل من ذهب، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسَرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتُلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِئَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أُنْجُو))⁽²⁾. فهذا إخبار من النبي ﷺ عن هذا الحدث العظيم، فهو فتنة كبرى حول انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب فيقتال عليه خلق كثير ويكون فيهم مقتلة كبيرة، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ولا ينجو إلا واحد من المائة، نسأل الله السلامة وهذا يحدث بين يدي الساعة.

⁽²⁾ صحيح البخاري: 13 / برقم (7092)، صحيح مسلم: كتاب الفتن برقم (2905)، سنن الترمذي: برقم

(2268)، موطأ مالك: برقم (29)، مسند أحمد: 18/2 و 23.

⁽³⁾ صحيح مسلم: كتاب الفتن برقم (2894) .

المطلب الثالث

أقوال أهل العلم المعاصرين بعودة الإسلام وسيادته وظهوره

1. يقول الدكتور القرضاوي بعد أن أورد حديث النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَثْرَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ)). قال: (هذا الحديث يبشر باتساع دولة الإسلام، حتى تشمل المشارق والمغارب، أي: الأرض كلها، فإذا كان حديث تميم الداري، وحديث المقداد السابقان يؤذنان بانتشار دعوة الإسلام وعلو كلمة الإسلام، فهذا الحديث يبشر بقوة دولة الإسلام واتساعها بحيث تضم المشارق والمغارب التي رآها النبي ﷺ بهذا تلقي قوة الدعوة، وقوة الدولة، وبعبارة أخرى قوة القرآن، وقوة السلطان وفي هذا من الخير ما فيه) (1).

وقال أيضاً: (إن آية الآيات في هذا الدين وأثره في أمته، ما ذكرناه من قبل: إنه أشد ما يكون قوة وأعظم ما يكون رسوخاً وشموخاً، حين يتزل بساحته الأزمات وتحقق به الأخطار، ويشتد على أهله الكرب، وتضيق بهم المسالك، ويقل المساعد والنصير حينئذ، يحقق هذا الإسلام معجزته، فتنبعث الحياة في الجثمان الهامد، ويتدفق دم القوة في عروق الأمة، وينطلق جنود الحق انطلاقاً المارد من القمم، فإذا النائم يصحو، والجبان يتشجع، والضعيف يقوى، والشارد يعود، والشيت يتجمع، وإذا هذه القطرات المتتابعة المتلاحقة من هنا وهناك، تكون سيلاً عارماً يقف دونه حاجز ولا سد من السدود) (2).

2. قال الدكتور عبد الله عزام (رحمه الله تعالى) وهو يرد على هاملتون جب (المستشرق الانجليزي) في كتابه (جهة الإسلام) سنة 1932: (يقول هاملتون جب: إن العالم الإسلامي

(1) المبشرات: 38. والحديث مر ذكره، وللشيخ له مؤلف مطبوع بالمبشرات بانتصار الإسلام فليراجع.

(2) من أجل صحة راشدة: 104 - 107.

سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته هذا ما كان الغرب يتوقعه من الأجيال القادمة، ولقد عادوا يفركون أيديهم فرحاً أن رأوا مجموعات من خريجي جامعاتهم لا يعبئون بدين، ولا يهتمون بخلق ولا قيمة، ولكنهم يمكرون ويمكر الله، لقد أنفقوا أموالهم، وأحكموا خططهم ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني علماني توقع سادته أن سيكون سحق الإسلام في المنطقة على يده، وأقاموا الجامعات وفرضوا الاختلاط، وأقصوا الصادقين حملة القيم والأخلاق عن كل المراكز الحساسة وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانية والفساد إليهم ونصّبوا قضاة وسادة وأقاموا حولهم الهالات، ونفخوا في الأقزام حتى أضحووا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء، ولكن هل كان لهم الذي أرادوا، هل أقصي الإسلام نهائياً عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع، نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكرة لجهودهم المضنية، ولكن إلى حين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (1) لقد عادت المدارس التي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى دين الله، عاد الجيل آيياً خاشعاً متبتلاً صادقاً إلى ربه، لقد أضحت الجامعات التي سهرت على مناهجها وظنوها مراكز التدمير أضحت تقدم نماذج من الشباب الصادق الملتزم الذي يضحى بكل شيء من أجل عقيدته (2).

وقال أيضاً: (لقد كنت في القاهرة أيام إعداد الدكتوراه سنة 1971 وكان في جامعة القاهرة - التي تعد حوالي مائة وعشرين ألفاً - طالبة واحدة فقط ترتدي اللباس الشرعي، واليوم بعد مضي بضع سنوات نرى العجب العجيب في الجامعة نفسها إذ عدد اللواتي يرتدين اللباس الشرعي يفوق (15) ألف فتاة وبينهن مجموعات تعد بالألوف ممن ينتقن (أي يغطين وجوههن)، وترى مثل هذه الأعداد في جامعة الإسكندرية، وسر إلى جامعة أسيوط والمنيا، وهكذا دواليك في أنحاء العالم العربي الإسلامي) (3).

(1) الأنفال: 36.

(2) انظر: الإسلام ومستقبل البشرية: 69 وما بعدها .

(3) المصدر نفسه.

3. قال أبو الحسن الندوي (رحمه الله تعالى): (فلا بد من إيصال صوته إلى كل بقعة من بقاع العالم، فإننا نعتقد أن أزمات العالم بيد هذه الأمة المرحومة، والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفعة الحياة من اليد الأثيمة الحرقاء التي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة، هذا التحول الذي يغير وجه التاريخ، ويحول مجرى الأمور، وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه، إن حقاً على كل بلد إسلامي وشعب إسلامي أن يشد حيزته لذلك)⁽¹⁾.

فالقوانين التي هي من صنع البشر لم تستطع في حل مشاكل العالم المتفاقمة، ولا سيما الاجتماعية والأخلاقية رغم الاكتشافات العلمية والصناعية، ولم تستطع النظم الاقتصادية من إيجاد حلول مثالية للوضع الاقتصادي العالمي المتأزم، فالفقر ضارب أطنا به في كل بقاع العالم. ويختتم أبو الحسن الندوي بقوله: (ولكن بالرغم ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي تُعدُّ خصيم الأمم الغربية وغريماتها ومنافستها في قيادة الأمم ومزاحمتها في وضع العالم)⁽²⁾.

4. يقول الأستاذ فتحي يكن في كتابه (الإسلام فكرة وحركة وانقلاب): (خُذع كثير من شبابنا بمظاهر المدنية الغربية، وظنوا أن نظافة في مظاهرهم دليل على نظافة أرواحهم وضمائرهم، وأن سبقهم في ميادين الكشف والاختراع يكفي لجعلهم مثلاً علياً في كل شيء، وأنا لا نجد من معاني الشعارات التي ينادي بها الغربيون إلا مظاهر التضليل والخداع)، ثم يستشهد بقول أستاذ الفلسفة الانكليزية (جودا) في كتابه: (سخافات المدنية الحديثة): (إن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوى والأخلاق... فالأخلاق متأخرة جداً عن العلم، ومنذ النهضة ظل العلم في ارتقاء، والأخلاق في انحطاط، حتى بعدت المسافة بينهما، وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية، وتسخير المادة والقوى الطبيعية وأغراضه، إذ هو يمتاز في أخلاقه.. في شرهه وطمعه، في طيشه ونزقه، وفي قسوته وظلمه عن غيره، وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة.. ففي نطاق المساواة فشل الغرب فشلاً ذريعاً في تطبيق مبدأ المساواة..

⁽⁴⁾ ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن علي الندوي، مكتبة دار العروبة، مصر، ط 3، ص: 248.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه ص 250.

فالتمييز العنصري لا يزال مشكلة المشاكل في أمريكا، وأما بالنسبة لدعواهم أنهم دعاة الحرية والسلام، فيكذبها الواقع، وها هي أمريكا اليوم ترتكب باسم الحرية والسلام في فيتنام وغيرها أبشع المجازر (1) لتقدم بين يدي العالم من جديد دليل إفلاسها الإنساني والأخلاقي والعقائدي (2).

5. وقال سيد قطب (رحمه الله تعالى): (ولقد جاء دور الإسلام ودور الأمة في أشد الساعات حرجاً واضطراباً.. جاء دور الإسلام الذي لا يتنكر للإبداع المادي في الأرض، لأنه يعده من وظيفة الإنسان الأولى، منذ أن عهد الله إليه بالخلافة في الأرض ويعتبره - تحت شروط خاصة - عبادة لله، وتحقيقاً لغاية الوجود الإنساني) (3).

6. وقال محمد زكي الدين محمد قاسم: (كما أنه لا بد للحق أن ينتصر، وأن يدمغ بقوته كل باطل أو غوي، وأن الإسلام لا بد أن يسود، وأن أمته لا بد أن تعلو مهما تطاولت بها أطوار الزمن، أو تتابعت عليها صروف الحن، والواقع: أن هذا الحكم ليس من قبيل التخيل القائم على الأمانى والأحلام العذبة، ولا من قبيل التأمل الذي يقال للعليل عند اقترابه من النهاية، وإنما هو بحق قانون من القوانين الثابتة في هذا الدين، والتي قررها القرآن الكريم، وذكر لها مسبباتها، وأورد لها مبرراتها المادية، وهو أيضاً ما تشير إليه - بوضوح - أصابع كل الدراسات الفلسفية والدينية، أو الإنسانية بصفة عامة... وهو ما تؤكد الحقائق الثابتة من التطور الزمني والاجتماعي، وحتى ما يسمونه بحركة التاريخ أيضاً) (4).

(1) واليوم تفعل الأفاعيل في العراق وأفغانستان وفي غيرها من البلدان، فآلة الحرب الأمريكية قتلت وتقتل الآلاف من المسلمين ودمرت البنى التحتية وهجرت الملايين وهي تحمل شعار (القضاء على الإرهاب) ومنذ سقوط الاتحاد السوفيتي المنافس لها، ولا زالت تحمله، وأنا أقول إنها أنفاس مودع كما ودعنا أمم من قبلها وإن غداً لناظره قريب.

(2) انظر: الإسلام فكرة وحركة وانقلاب: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 121 (1408هـ - 1988م) ص: 35 و 37.

(3) معالم في الطريق: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط 6 1399هـ - 1979م، ص: 5.

(4) هذا القرآن فأين هم المسلمون: 708/2.

المطلب الرابع

شواهد وظواهر على عودة الإسلام ماضياً وحاضراً

إن عودة الإسلام لا مرية فيه بإذن الله، فالمعطيات والدلالات تشير قطعاً إلى ما نحن بصددده، فكلما تجمع أهل الكفر على صعيد واحد، وجمع قواه، وكشر عن أنيابه، إذا به ينهار ويتهاوى بضربة قوية يتلقاها من الله عز وجل على أيدي جند الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾⁽¹⁾. وفي التاريخ شواهد لا حصر لها عن ذلك، وقد يطول الكلام بهذا الصدد ولكننا نكتفي بالآتي:

1. الصفعة القوية التي تلقاها الصليبيون على يد جند صلاح الدين الأيوبي، حيث بقوا في الشام - الأرض التي باركها الله عز وجل - نحو مائتي عام، وبقي بيت المقدس تحت وطأهم تسعين سنة كاملة، ولكن فضل الله لا ينقطع على هذه الأمة، فقد هيا لها رجالاً أفذاذاً، فكان منهم الرجل المغوار والقائد الفذ عماد الدين زنكي وابنه البطل المقدم نور الدين محمود الشهيد، الذي كان يُشَبَّه بالخلفاء الراشدين في سيرته وشجاعته وعدله، وتلميذه القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي بطل الإسلام الذي كتب الله عز وجل على يديه النصر في معركة حطين الخالدة، فاندحر الصليبيون أيما اندحار، وهم اليوم يحسبون ألف حساب من عودة جديدة لصلاح الدين الأيوبي، وقد رأيت بعض الأوربيين السيّاح يلتقطون صوراً لضريحه في الشام، وربما وقف أحدهم عليه، وهو ينظر بعين الخائف الفزع، ويستذكر عنفوان وشجاعة هذا القائد العظيم، وكيف أنه قد قض مضاجع أجدادهم وأفرعهم. وهذا النصر العظيم الذي تحقق على أيدي المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي كان منعطفاً تاريخياً للأمة بعد ضعفها، ففيه نهضت، وتجددت لها الحياة، والحياة في هذه الأمة باقية حتى وإن مرضت واعتراها الوهن والضعف.

2. ولعل فتح القسطنطينية - تركيا اليوم - على يد السلطان محمد الفاتح هي بشارة النبي ﷺ

(1) التوبة: 52.

لهذه الأمة ومن علامات ديمومتها وسيادتها على العالم، فقد اتصف السلطان محمد الفاتح بحبه للإسلام والعمل بالقرآن وسنة سيد الأنام ﷺ، كان هذا البطل يتطلع لفتح القسطنطينية معقل الدولة البيزنطية وكان أمله أن يتحقق فيه حديث النبي ﷺ: ((لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَلَنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ))⁽¹⁾. لقد كانت مدينة القسطنطينية قبل الفتح من الناحية العسكرية تعد من أفضل مدن العالم تحصيناً ومنعة، لما عليها من الأسوار والقلاع والحصون إضافة إلى التحصينات الطبيعية، وكذلك كانت السفن البيزنطية والأوربية المشتركة تحيط بها من كل مكان، وبالتالي يصعب اختراقها، وقد جرت عدة محاولات لاقتحامها، وكان من بين الجيش الإسلامي العلماء يقاتلون معهم لرفع معنويات المقاتلين. فاستمر الجيش الإسلامي في ذلك نقاط دفاع المدينة وأسوارها بالمدافع، وهي تنهار شيئاً فشيئاً، وقد حدثت مفاوضات بين الطرفين دون أية نتيجة، واستمرت المعركة حتى تحقق النصر المؤزر يوم الثلاثاء 20 جمادى الأولى سنة 857 هـ، ففر أغلب أهل المدينة إلى الكنائس، وفي ظهر هذا اليوم انجلي كل شيء وسيطر المسلمون سيطرة محكمة على المدينة، والقائد محمد الفاتح في وسطها يحف به جنده وقواده وهم يرددون: ما شاء الله، فالتفت إليهم وقال: لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية الذين أخبر عنهم النبي ﷺ وهنأهم بالنصر ونهاهم عن القتل، وأمرهم بالرفق بالناس والإحسان إليهم، ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكراً وحمداً وتواضعاً لله تعالى⁽²⁾.

3. انهيار الشيوعية في أغلب بلدان العالم لاسيما الشيوعية السوفيتية بضربات المسلمين القوية في أفغانستان، تلك الضربات الحاسمة السماء التي قصمت ظهرها بعد أن كانت تمثل وتسيطر على نصف الكرة الأرضية، وحالُ انهيارها كحال من سبقها من الحواضر الكافرة، وسيأتي اليوم الذي تنهار فيه سلطة الولايات المتحدة الأمريكية كغيرها بإذن الله، فأمريكا اليوم تستخدم شعارها الضال وهو: محاربة الإرهاب في عقر داره، وهي بهذا الأسلوب تفرض أفكارها بقوة الطائفة

(2) مسند أحمد: 335/4 برقم (18977) علق عليه شعيب الارنؤوط: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 323/6 برقم (10384): رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: 268/2 برقم (878) ضعيف.

(1) انظر: الدولة العثمانية، عوامل النهوض والسقوط: 102 وما بعدها (بتصرف).

والدبابة والمدفع، وتحرك العملاء والسادجين من الحكام للقضاء على الإسلاميين الناشطين في مجال الدعوة والنشاط الإسلامي، وتسعى لقتل أكبر عدد ممكن من المسلمين، وقد فعلت هذا في العراق وأفغانستان، وتحت غطاء هيئة الأمم المتحدة - المحامية عن حقوق الناس كذباً وزوراً - وبموافقة مجلس الأمن الإرهابي السيء الصيت.

4. ظهور القنوات الفضائية الإسلامية وانتشارها ودخولها البيوت وبثها للبرامج الإسلامية الهادفة والمعبرة علامة من علامات عودة الإسلام وظهوره مجدداً، وكذلك وجود إعلام إسلامي، واقتصاد إسلامي، وثقافة إسلامية، ومناهج إسلامية، ومراكز إسلامية، ومنظمات إسلامية عالمية وقطرية سواء أكانت خيرية أم إغاثية أم ثقافية، وكذلك وجود منظمات مجتمع مدني إسلامي.. الخ، كل ذلك من مبشرات عودة الإسلام وظهوره.

5. ظهور المنتديات الإسلامية: ففي أيامنا هذه أصبح للفكر الإسلامي، والصوت الإسلامي، والشخصية الإسلامية حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب، وأصبح ذوو المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يلبسون لباس الإسلام، ويتلمسون تعاليمه، ويطبقونه على رعاياهم بعد أن كانوا يستخدمون الوسائل القمعية ضد الدعاة والمصلحين من قتل وسجن وتشريد، وكذلك كانوا يستخدمون ضد الحركات الإسلامية الوسائل الفكرية القسرية لإضعافها وإضعاف منتسبيها، ولكن شاء الله عز وجل أن ينصر دينه، فقد بلغ عدد الجمعيات والمنتديات ومؤسسات المجتمع المدني الإسلامية عشرات المئات في عموم المجتمع الإسلامي والعربي وهي بازدياد مستمر، وحتى في الغرب ظهرت تجمعات إسلامية على شكل منتديات تدين الظلم وكنتم الأفواه وتدين الحروب والإبادة البشرية، وهي علامة من علامات هيمنة هذا الدين وظهوره.

6. أما المظاهر فقد أصبح أغلبها إسلامياً واندثرت العادات الجاهلية والغريبة، فمثلاً الزواج أصبحت وسائله إسلامية، والأحزان إسلامية، وكذلك تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والمشروبات هذه كلها مظاهر تدعو إلى الانفراج بإذنه تعالى.

لقد انتشر الوعي الديني لدى أغلب المسلمين بعد أن كان محصوراً في شخصيات محددة، وفي تجمعات معينة.

7. غزو الكتاب الإسلامي، والمنشورات الإسلامية، والقرص الإسلامي الممغنط (CD) وسيادتها على المنشورات غير الإسلامية ودخولها البيوت والأماكن العامة وفي السيارات وبشكل يشر بعودة الإسلام وهيمنته مجدداً.

8. انتشار المواقع الإسلامية الالكترونية على (الانترنت) كبديل للمواقع العلمانية والانخطاطية.

9. امتلاء المساجد بالشباب بعد أن كان لا يدخلها إلا المسنون، وازدياد أعداد المصلين في صلاة الفجر بعد أن كانت نسبتهم لا تتجاوز أصابع اليدين.

10. الدعوة إلى الإسلام، والسفر والارتحال في نشر دين الله عز وجل، حيث تعددت المساجد في الدول الكافرة، فمثلاً في إيطاليا (موطن البابا الكاثوليكي) يوجد فيها حالياً (300 مسجد)، وبريطانيا فيها (250 مسجد)، وكذلك أميركا وفرنسا.. كل ذلك نتيجة انتشار الدعاة وارتحالهم إلى مثل تلك الدول.

11. دخول عشرات المئات من الغربيين الإسلام، ولما سئل الدكتور جوزيف إدوارد إستس والذي أصبح اسمه بعد ذلك (يوسف إستس) عن سبب دخوله الإسلام وما مستقبل الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، وهل صحيح أن للإسلام مستقبلاً مشرقاً هناك؟.

أجاب عن السؤال الأول قائلاً: (الإسلام هو الأمل والمستقبل الوحيد في الولايات المتحدة ودون أدنى شك، إن هذا البلد يحتاج إلى الإسلام وتعاليمه المبينة، ولهذا فإننا نعمل في أمريكا داخل منظمات ومؤسسات تعتمد آلية التنسيق والتعاون من أجل تقديم وتوفير الكتب والمصاحف والنشرات الإسلامية وأشرطة الفيديو وغيرها في متناول المسلمين، وبالأمر القريب بدأنا بتوزيع ال (CD)، وبالتأكيد إذا لم نضع أمريكا في بالنا وضمن جهودنا الدعوية، فسوف نخسر كثيراً، فنحن نصارع من أجل البقاء، ولنعلم أبناء المسلمين القرآن الكريم دراسة وحفظاً، وكذلك اللغة العربية وعلومها حتى يقوموا بواجبهم في نشر هذه الدعوة فهم أمل الإسلام في الغد).

وأما السؤال الثاني الذي تضمن: ما مدى صحة الأنباء التي تواترت عن أن كثيراً من الأمريكيين اعتنقوا الإسلام بعد هجمات (11) سبتمبر، وهل لديكم أرقام محددة؟. فأجاب قائلاً:

(لاحظنا بالفعل زيادة كبيرة في أعداد الذين أسلموا بعد أحداث سبتمبر الماضي، وليس لديّ أرقام محددة، فالله هو الأعلم بها، والنسب المتداولة هي مجرد توقعات وتقديرات، ولكن أستطيع القول بأنه بسبب علاقتي الواسعة مع جهات عديدة، مثل السجون والجامعات والمدارس، ورواد المساجد وغيرها من أماكن التجمعات، فقد تأكد أن عدد الذين أقبلوا على الإسلام قد ازداد بشكل لافت للنظر، ولكن لم يكن هناك تعداد جازم بعددهم).

والسؤال الثالث هو: هل ما يتردد من أن النساء أكثر إقبالاً على الإسلام من الرجال صحيح وما سبب ذلك؟ قال: (عدد النساء اللاتي يدخلن الإسلام في جميع أنحاء العالم، وبخاصة في الغرب، وبشكل أخص في أمريكا أكثر من الرجال، والسبب الرئيس هو تعرضهن للمعاملة السيئة، وانتهاك كرامتهن، وعدم احترام آدميتهن، فلا مجال لهن للعيش كنساء طبيعيات في هذه البيئة المفتوحة على مصراعيها، والدليل على ذلك أن كثيرات يتحولن إلى رجال، وبعضهن يقلدن الرجال في كل شيء، ويصل الحال بهن إلى درجة أن يتزوجهن من نساء مثلهن، ثم الاتجاه نحو تبني الأيتام وتربيتهم، وهذا في الحقيقة جنون وحياة غير طبيعية)⁽¹⁾.

12. ومن المعطيات التي تبشر بخير أيضاً، فمثلاً إتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا ابتداءً بثلاثة عشر طالباً سنة 1965م، ونرى اليوم أن العدد يفوق إلى أكثر من خمسين ألفاً، وفروعه منتشرة في كل مكان في أمريكا، وأصبح الأمريكيان يدخلون في دين الله أفواجاً أفواجاً حتى غدا عدد الأمريكيان المسلمين يزيد على ثلاثة ملايين، ويتوقع الشباب المسلم أن يصبح هذا العدد خلال مدة قصيرة عشرة ملايين حتى غدا الشباب المسلم بحاجة إلى مساجد في الجامعات الأمريكية، فصاروا يشترون الكنائس التي تغلق أبوابها بسبب قلة روادها، ويحولونها إلى مساجد، إنها لثورة عارمة تكتسح الفكر الأوربي في عقر داره وتحوله إلى فكر إسلامي، كل ذلك بفضل الدعاة الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله.

وأكد على ذلك الدكتور عبد الله عزام (رحمه الله) بقوله: (لقد زرت بنفسي عدة مساجد

(1) ينظر: العالمية، جمادى الأولى 1423هـ - 2002م، العدد 146، السنة الرابعة عشر، من إصدار الهيئة الخيرية

الإسلامية، الكويت، ص: 74.

في (متشغن) و (بلومنجتون) كانت كنائس واشتراها الطلبة بأموالهم، وكثير منهم من الدول البترولية، أو يجمعون التبرعات من بلادهم أو من الجاليات الإسلامية التي تسكن أمريكا منذ فترة⁽¹⁾.

13. الفوز الساحق للإسلاميين في الترشيحات الانتخابية في أغلب الدول العربية وكذلك الإسلامية وتفوقهم على العلمانيين في عمل النقابات والتنظيمات المهنية، كما في فلسطين بفوز المقاومة الإسلامية حماس الساحق على العلمانيين، وفوز المحامين المسلمين في مصر على غيرهم، وفوز الإسلاميين في تركيا والجزائر.

14. الاعتزاز الكبير والعظيم بالفكر الإسلامي وتصدر الحركات الإسلامية على غيرها، وانتقال الشباب من دور الدفاع إلى دور التحدي، ونقل الفكر الإسلامي من مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والتصدي والاعتزاز والمقاومة الخطابية.

15. ولما قامت جريمة اليهود الحديثة على مدينة غزة الفلسطينية في نهاية الشهر الثاني عشر من عام 2008 واستمرارها لمدة واحد وعشرين يوماً حيث استخدم فيها اليهود مختلف أنواع الأسلحة المحرمة وغير المحرمة، والتي راح ضحيتها (1820) شهيد من الرجال والنساء والأطفال، انتفض المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يطالبون بحكوماتهم بالتوجه إلى غزة ودعم الفلسطينيين بالمال والنفس، ومن فضل الله عز وجل أن المقاومة صمدت وبكل جدارة وشراسة مما جعل اليهود أن يعلنوا وقف إطلاق النار من طرف واحد وكان نصراً للمسلمين رغم ما أصابهم من قتل ودمار ولأواء.

فإن ما رأيناه من استنكار وشجب إسلامي وعالمي لبشارة على أن المسلمين قادمون بإذن الله عز وجل.

16. ومن الظواهر التي تثير الانتباه إقبال الناس على قراءة القرآن الكريم بشكل لا يصدق كما تشير إلى ذلك التقارير العالمية والإسلامية، وأن الطلب الكبير على اقتنائه، وازدياد نسب الطبع في المطابع ودور النشر، وتخصص دور معينة لطباعة المصحف وبمختلف القراءات واللغات حافز

(2) الإسلام ومستقبل البشرية: 80.

جوهري على عودة الناس إلى هذا الدين وازدياد أعداد الداخلين إليه من غير العرب، حيث ترجم إلى لغات كثيرة، ومن تتبع مجمع المملكة العربية السعودية لطباعة المصحف، لتيقن صحة ما نقول، والحمد لله رب العالمين.

16. قيام الثورات الشعبية في البلاد العربية ولاسيما مصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا بإسقاط الحكومات العلمانية الضالة التي فرضت التسلط اللاديني والقمعي على الشعوب الإسلامية، فقد استطاع الشعب المصري والتونسي والليبي إسقاط أنظمة الحكم في مصر وتونس وليبيا واليمن. ولازالت الثورة الشعبية في سوريا قائمة رغم المقاومة الحكومية الشديدة، فقط سقط الكثير من الشهداء والجرحى، وهدمت الكثير من البيوت، وخربت الديار والمصانع.. إلى غير ذلك.. كل هذا وذاك أن ظهور الإسلام على الأبواب بإذنه تعالى.

المطلب الخامس

عودة الإسلام خير للبشرية جمعاء، وأقوال الغربيين المنصفين بأهمية عودته وظهوره

إن التخطيط الذي لحق بالعالم الحديث، والدمار الشامل، والمستيريا القاتلة التي انطبع بها كثير من البشر في مختلف الأرجاء، والأخلاقيات الهابطة المتردية لكثير من المنظمات البشرية السرية وغير السرية، التي ظهرت وطفّت على السطح بسبب الطغيان الرأسمالي الليبرالي، والاشتراكي المفقر المميت، وبسبب الأيدلوجيات والأفكار الشنفونية المستبدة والدكتاتوريات الحاقدة، واللواءات العرقية والطائفية والعنصرية والسياسية، كل هذه الإرهاصات تنبؤ عن مؤشرات خير للناس جميعاً بعودة المنهج الإسلامي منهج الرحمة والمودة والعدالة إلى الحياة، فهو المنهج الوحيد الذي سيعطي للإنسانية حقها وروحها الذي فقدته منذ سقوط الخلافة الإسلامية وإلى يومنا الحاضر، فالعالم اليوم تسوده لغة العنف والقوة والقتل، والتمييز العنصري الذي أودى بكثير من البشر. ولا ينقذ هذا العالم من تخطيطه وسفالته إلا الإسلام والعودة إليه، وقد أشار إلى ذلك يوسف

إستيس بقوله: (الإسلام هو الأمل والمستقبل الوحيد في الولايات المتحدة ودون أدنى شك، إن هذا البلد يحتاج إلى الإسلام وتعاليمه المبينة)⁽¹⁾.

إن انهيار الشيوعية الإلحادية الفاسقة التي سادت العالم بأفكارها المادية الجوفاء ما يزيد على نصف قرن لمؤشر ذي دلالة عميقة على عودة المنهج الإسلامي مجدداً إلى معترك الحياة، وهو البديل الحقيقي للمناهج الأخرى.

قال الدكتور عبد الله عزام (رحمه الله): (تشير كثير من المؤشرات، وتوحي كثير من الومضات إلى أن هذه العقيدة هي المرشحة الآن لإنقاذ البشرية، ولتأخذ على عاتقها تخلص الإنسانية من الشقاء الذي لم تعد تجد منه مهرباً، وكاد الإنسان ييأس من النجاة بعد أن عانى ما عانى من ويلات الجاهلية، ضياعاً في متاهاتها وشقاءً يمزق الأعماق، وحيرة تأخذ بالألباب، واضطراباً يفتت الأكباد، وعاد كل ذي لب يحس بهذه النتيجة التي آلت إليها البشرية، وأصبح كل مبصر يدرك أن هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية رحمة وشفاء قد جاء دوره، وأن له أن يتقدم ليربح هذا الإنسان الضائع الحائر)⁽²⁾.

وقال د. عبد الرشيد الأنصاري: (إن القرآن ليس أثراً من الآثار الساكنة الهادئة يشير إلى ماض ميت، وإنما هو منبع حي للحق، ظهر في العصر العربي الذي أورثنا تراثاً عظيماً، لنا أن نفخر به، ذلك أن التراث الذي يجب أن لا نتركه بسهولة فإن كلمات القرآن مليئة بالمعاني في يومنا هذا، كما كانت كذلك بالنسبة لأسلافنا، إنها كلمات مليئة بالحكمة، بعثها الله إلى الناس كافة، وبهذه الكيفية، لأنها تتصدى حدود الزمن، لأنها عندما أحكمت، أحكمت خارج حدود الزمن، لتكون خالدة صالحة لكل زمان بل لجميع الأزمان)⁽³⁾.

(1) ينظر: العالمية، جمادى الأولى 1423هـ - 2002م، العدد 146، السنة الرابعة عشر، من إصدار الهيئة الخيرية الإسلامية، الكويت، ص: 74.

(1) الإسلام ومستقبل البشرية: 2.

(2) رافض الباليه: 80.

وحيثما سئل البروفسور عبد الأحد داود⁽¹⁾: كيف صرت مسلماً؟ كتب قائلاً: (إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة، لن تكون مجدية.. واللحظة التي آمنت بها بوحداية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن)⁽²⁾.

إن إسلام كثير من الأوروبيين، وتصريحاتهم بأنه لا خلاص مما هم عليه من التفسخ الأخلاقي وكثرة الجرائم والانحراف عن الإنسانية بكل معانيها إلا بالإسلام فهو الوحيد الذي سيخلصهم من سفالة ما يعيشونه، وأن الحضارات الغربية ما جاءتهم إلا بالويل والثبور. وكذلك عودة كثير من الضالين المسلمين إلى رشدهم وصوابهم، وصحوهم من طغيان الأيدلوجيات الحديثة التي نخرت عقولهم وأعمت أبصارهم. ومن شمال العراق، وتحديداً في مدينة (سنجار) التي تقطنها الطائفة الآيزدية⁽³⁾، حيث دخلت الإسلام منهم عشرات العوائل سنة 2010، وقد بلغ تعدادهم ما ينوف على مائة فرد، مما اضطروا إلى الهجرة إلى منطقة في غرب العراق فيها ملاذ آمن لهم، ليعلنوا إسلامهم أمام الهيئة القضائية فيها، كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن عودة الإسلام أصبحت قاب قوسين أو أدنى. وأيضاً زيادة عدد الفضائيات الإسلامية التي تبث الخير إلى الناس، وإن الإحساس الكبير الذين ملأ ما بين الخافقين، بأنه لا مخلص ولا منقذ مما عليه العالم اليوم من اضطرابات وشدائد وعبث إلا بالإسلام.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ

⁽³⁾ اسمه قبل إسلامه: القسيس دافيد بنجامين كلداني، وهو من طائفة الكلدانين الموحدين التابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية ويحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت. ينظر: محمد في الكتاب المقدس: الصفحة الأولى.

⁽⁴⁾ محمد في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود، ترجمة فهمي شما، مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، مطابع الدوحة الحديثة، الطبعة الأولى: 1405 هـ - 1985 م ص 1.

⁽⁵⁾ هذه الطائفة تقطن في شمال العراق: يعبد أفرادها الشيطان، وهم في نظرهم ومعتقدهم أنه يدفع عنهم الشرور والمضار.

أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجاً وَأَنْهَاراً»⁽¹⁾. وزاد الإمام أحمد: ((وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ))⁽²⁾.

فهذا لا يكون إلا بانتشار الإسلام وسيادته، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽³⁾.

لقد رأى كثير من المفكرين الغربيين أن الرجوع إلى الله عز وجل وإلى الإيمان خير حل، لإنقاذ بشريتهم من الحيونة والتفسخ والانهيار، فمثلاً يقول الروائي الروسي سولجنستين (COLGNCEETN): (إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودته إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان، وهي التي تحدد له قيمة ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تعلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحدّها حدود)⁽⁴⁾.

والمفكر الفرنسي ديباسكييه (DEEBCKEEH) هو الآخر يرشح الإسلام كمخلص ومنقذ وحيد للبشرية، فيقول: (إن الغرب لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفاً عدائياً منه، ولم يكف عن الافتراء والتنديد به لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحداية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان)⁽⁵⁾.

(1) صحيح مسلم: 700/2 برقم 60 - (157)، مسند أحمد: 370/2 برقم (8819).

(2) مسند أحمد: 370/2 و 371 علق عليه شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(3) الأعراف: 96.

(4) مجلة الأمان اللبنانية: العدد (57)، السنة الثانية، آذار سنة 1980م.

(5) المصدر نفسه.

أقول: لماذا إذن يتبجح الغرب بحضارته، وحالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً؟، فهم اليوم في حيرة وتيه، وليس لهم من ملجأ ينقذهم من مأساتهم إلا دين الإسلام.

لقد قادتهم حضارتهم إلى الهلاك والانحطاط والشذوذ والسفه والحماقة رغم تقدمهم العلمي والصناعي، ولكنهم كما يقول الله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁽¹⁾، فأرواحهم خاوية من القيم والأخلاق ولذة الإيمان، ولا يعرفون من حياتهم إلا المادة وإرضاء شهواتهم الجنسية الحيوانية.

فقيم الغرب تنصب على ظاهر الحياة وعلى آلة الدمار العسكري التي أهلكت الحرث والنسل، مما جعل الشعوب تنهض من سباتها مطالبة بخلاصها مما هي عليه من ضيم الحكام، ونكبات ودمار الحروب، والفراغ النفسي المركب الذي يعيشه أكثر الشباب من كلا الجنسين، واليوم نسمع هنا وهناك أن نسبة الذين يلجأون إلى الانتحار من الأوروبيين عالية جداً، وخصوصاً الجنود في جبهات القتال مع المسلمين.

فهؤلاء الكتاب يسعون بكتابتهم وشعاراتهم لتخليص بني جلدتهم من السقوط الذي حل بهم، وهم اليوم يغوصون به إلى الركب، فلم يروا إلا الإسلام حلاً وحيداً لإنقاذهم من هذا السقوط المميت.

الإسلام يجذب الغربيين إلى اعتناقه:

فهذا راقص الباليه الإنجليزي الذي أصبح اسمه بعد إسلامه عبد الرشيد الأنصاري، وحالياً يعمل أستاذاً في جامعة الأزهر، يقول: (إن المسلم اليوم أشبه برجل قد استيقظ من نوع عميق، وفي الحقيقة لقد كانت ليلة طويلة مظلمة بالنسبة للإسلام، والآن قد لاح الفجر، وقد رفع المسلمون رؤوسهم مرة أخرى عالية في ظل الحرية والاستقلال عن كل شيء إلا عن الله، ولقد استغرق المسلمون في النوم سنوات عديدة، بيد أنهم الآن قد استيقظوا مكبلين بأغلال فكرية، وعليه أن يحيا اليوم الجديد بذهن متفتح وقلب قوي، إن ضوء الإسلام يشع الآن من خلال

(6) الروم: 7.

ضباب فجر جديد، وأنه هو نفس الضوء الذي كان إلهاماً لشعوب العالم المستعبدة، يشجعهم على أن يحرروا أنفسهم من نير الدول الأجنبية، ومن آثار الانحطاط⁽¹⁾.

وأخبرنا الشيخ محمد حسان في لقاء معه على قناة (اقرأ) يوم 2009/4/9 قال: (إن امرأة ألمانية دخلت الإسلام، فسألته عن سبب دخولها في الإسلام. أجابت: بأن الإسلام دين العفة. تقول: كنت أتجول في أحد الطرقات في هولندا فسمعت ضجيجاً وأصواتاً وهرجاً، فلما اقتربت وجدت أن رجلاً يمارس الرذيلة مع امرأة أمام الناس وهم عراة ويسمون هذا التجمع (العرض الحي)، فهز كياني وحرك نوازعي ذلك المشهد الرهيب، مما جعلني أبحث عن دين يحافظ على عفاي ويجعلني عزيزة الجانب وليست سلعة رخيصة مبتذلة، فبحثت عن هذا الدين، فوجدته الإسلام، فاعتنقته).

وعرضت قناة الرحمة الفضائية قصة إسلام أحد أبطال الملاكمة الألماني (بيير فوكل) وكيف تحول إلى داعية للإسلام لا يفتر ولا يكل، يدعو إلى الله على بصيرة، وله عبقرية وأسلوب دعوي قل نظيره، وقد أسلم على يديه أكثر من ثلاثة آلاف ألماني، وله محاضرات كثيرة في مختلف المواضيع، ودعوته لم تقتصر على قاعة المحاضرات وإنما شملت كل مجالات الحياة، في الأسواق، والمتنديات، والتجمعات الشعبية.. إلى غير ذلك⁽²⁾.

وحدثني أحد القادمين من السويد، بأن نسبة الداخلين في الإسلام من السويديين كبيرة جداً، وقلما يدخل أسبوع حتى يعتنق الإسلام اثنان أو ثلاثة، وهذا من الإشارات الواضحة على عودة الإسلام كنظام حياة إلى البشرية، بعد أن غاب كثيراً.

شهادة الغربيين المنصفين عن دور المسلمين في نهضة الأوروبيين:

1. قال غينو (KENO): (لقد كانت الثقافة الإسلامية منبع نور وهداية، ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام).

2. وقال دريبر (DREEBR): (إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين

⁽¹⁾ راقص الباليه: قصة إسلامه ص 81.

⁽²⁾ قناة الرحمة: برنامج (لماذا أسلموا) يوم 2009/6/14 مساءً.

الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم، وكان ملوك أوروبا وأمراؤها يَفِدُّون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها⁽¹⁾.

3. وقال المؤرخ الأمريكي (آرثر): (إننا مدينون لكم معشر العرب، وأنتم الدائنون، يرجع الناس أصول مدنيتهما إلى المدينتين اليونانية والرومانية، مع أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة، ولو لم يقدر لهما أن تتناولهما أيدي العرب لأصابهما الوهن والاضمحلال)⁽²⁾.

4. قال (سيديو) (CEDEO): (استطاع العلماء المسلمون بتركيز أفكارهم على الحوادث الفردية، أن يطوروا المنهج العلمي إلى أبعد مما ذهب إليهم أسلافهم في الإسكندرية أو اليونان، وإليهم يرجع الفضل في استخدام أو إعادة المنهج العلمي في أوروبا في العصور الوسطى)⁽³⁾.

5. وقال الإنجليزي (برناردشو) في كتابه (محمد)، والذي أحرقت السلطات البريطانية: (إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدينيات خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة - يعني أوروبا - إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا لدين محمد صورة قائمة لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية).

الغريون يمتدحون النبي الخاتم محمد ﷺ⁽⁴⁾:

لعل من حسن الطالع أن رجال الفكر في العالم قد لفت نظرهم ما جاء به رسول الله ﷺ من سنن مباركة وتشريعات ربانية، ليضعوه في مقدمة الشخصيات البارزة في التأريخ التي غيرت مسار

(1) روائع وطرائف: الشيخ إبراهيم النعمة، مطبعة دار الخلود، بغداد 1990 م، ص 38.

(2) روائع وطرائف: 38.

(3) المصدر نفسه.

(4) مجلة الرسالة الإسلامية - العدد (311) 1432هـ - 2011م - تصدر عن ديوان الوقف السني في العراق -

الإعلام والعلاقات العامة، ص 42. ومجلة المفكر والإبداع - ديوان الوقف السني - قسم الإرشاد الإسلامي - العدد

(3) لسنة 1431هـ / 2010م.

العالم نحو المعالي الحسنة ، والصفات الحميدة التي استفاد منها الناس جميعاً .
أقول: كيف لا وهو رسول الله ﷺ الذي ابتعثه الله عز وجل بالإسلام الحنيف إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ونذكر من أقوالهم وشهاداتهم بأنه ﷺ خير خلق الله جميعاً ما يأتي:

1. يقول (مهاتما غاندي) في حديث لجريدة (ينج إنديا): (أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة).

2. ويقول البروفيسور (راما كريشنا راو) في كتابه (محمد النبي): (لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذه عن حياته من صور متتابعة جميلة، فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً).

3. يقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه (الشرقيون وعقائدهم): (كان محمداً رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما: العدالة والرحمة).

4. ويقول الإنجليزي (برناردشو) في كتابه (محمد): (لكنني أطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته

أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا، بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنوا البشر إليها).

5. ويقول (سنرستن الآسوجي) أستاذ اللغات السامية في كتابه (تاريخ حياة محمد): (إننا لم نصف محمداً إذ أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مُصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ).

6. ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس) في كتابه (ديانة العرب): (ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة وكانت وظيفته ترقية عقول البشر بإشراهما الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة وإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد وبحياة بعد هذه الحياة).

7. ويقول (مايكل هارت) في كتابه (مائة رجل في التاريخ): (إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم، أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها).

8. ويقول الأديب العالمي (ليف تولستوي)⁽¹⁾: (يكفي محمداً فخراً أنه خلّص أمة ذليلة دموية من محالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم وأن شريعة

(1) يعد أدب تولستوي من أمتع ما كتب في التراث الإنساني قاطبة عن النفس البشرية. الرسالة الإسلامية - العدد

(311) لسنة 2011م.

محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).

9. ويقول الدكتور (شبرك) النمساوي: (إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته).

10. ويقول الفيلسوف الإنجليزي (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل في كتابه (الأبطال): (لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة).

11. وقال رايوند لويس: (إن الإسلام هو الحجر الأساسي لكل صرح قويم يبنى عليه الأخوة البشرية).

12. وقال أرنست تشريري: (الإسلام ليس دين تفرقة عنصرية ولا يدعي أنبأؤه أنهم الشعب المميز أو الجنس المختار وأكثر من ذلك فهو دين عالمي للناس جميعاً).

13. وقال ماسينيون: (يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة).

14. وقال المستر هاري: (الإسلام دين العقل والتسامح وهو خال من كل شائبة وهو يشجع على متابعة الحقيقة).

15. وقال صاحب كتاب (تقدم العقل البشري): (إن ديانة محمد هي أبسط الديانات في قواعدها وأقلها استحالة في شعائرها وأكثر تسامحاً في مبادئها).

المطلب السادس

حذرَ الغريبين الأعداء من ظهور الإسلام وعودته مجدداً

فمن الجدير بالإشارة إلى أن الغريبين المكابرين يحذرون أشد الحذر من عودة الإسلام إلى

مسرح الحياة وسيطرته على سدة الحكم من جديد، ويخافون من ظهور صلاح الدين مرة أخرى، فقد بذلوا ما بوسعهم من منع عودة المسلمين إلى سالف مجدهم، وهم يقرون بذلك من خلال الخطاب الفكري والسياسي المخادع القائم على المراوغة والاحتيايل، فهم في كل يوم يظهرون ببدعة جديدة، وصورة أكثر رونقاً وشفافية لرعاية ثقة المسلمين بإسلامهم، فمرة يدعون إلى عزل الدين عن الحكم تحت مسمى (العلمانية)، ويقولون: إن الدين أفيون الشعوب، وقد وجهوا من خلال هذه النافذة سهامهم صوب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة زاعمين أن القرآن فيه عبارات لا تتناسب مع مبادئهم ومناهجهم، كإعلان الحرب بمعنى: لماذا يعلن الإسلام على الأديان الأخرى الحرب والعداء. ولماذا يميز بين الذكر والأنثى فيجعل للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث، أي عدم المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء. والحجاب وستر المرأة بدنهما. وأنه لا ينصف القوميات والأقليات.. إلى غير ذلك.

ومرة يدعون عملائهم إلى إتباع سياسة ومنهج تغريب المسلمين من خلال البعثات والدعوات المبهجة لدمجهم بحضارة الغرب وانصهارهم فيها، وانسلاخهم من دينهم وإسباغ الأموال الطائلة عليهم لإغرائهم بالانتقال إلى تلك البلاد.

ومرة يشيِّعون منهج الديمقراطية كبديل عن مبدأ الشورى في الإسلام، ويتهمون الإسلام بالقصور والتخلف.

ومرة ينتهجون سياسة (فرق تسد)، هذا المبدأ الظالم القديم، الذين تمكنوا من خلاله تمزيق أوصال الأمة وجعلوها دويلات متعادية تحت قوة السلاح.

ومرة أخرى جاءوا بالدعوة إلى القوميات والولاء لها والموت دونها، واليوم يدعوننا إلى مكافحة الإسلاميين المتطرفين تحت مسمى (الإرهاب)، إنها حملة مسعورة يقوم بها الغربيون ومن والاهم ضد الإسلام والمسلمين، ونقلوا بهذا الأسلوب الجديد معركتهم إلى ديار المسلمين، فآلة حربهم اليوم تطحن المسلمين طحناً كما في العراق وأفغانستان وفلسطين.

وقد سئل أحد المفكرين الأوروبيين في محاضرة له بعد استقلال الجزائر: لماذا كنتم تحاربون في الجزائر؟ أجاب بقوله: (إننا لم نكن لنسخر النصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر، أو صحاريها، أو زيتونها. إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي

محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة (بواتيه) جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوروبا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حكم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة، من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر⁽¹⁾.

وقال زويمر (ZWEEMER): (إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم ومزية بناء، أما الهدم: فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد. وأما البناء: فنعني به تنصير المسلم إن أمكن، ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه)⁽²⁾.

لقد عمل الأوروبيون ما بوسعهم على تصدير فكرهم وحضارتهم إلى المسلمين عن طريق وسائل الإعلام الغربي بمختلف أنواعه وطرقه، وشراء عقول وأقلام المسلمين وتسخيرها ضد أبناء جلدتهم كقاسم أمين، وطه حسين، ورفاعة الطهطاوي.. وآخرين، لنشر أفكارهم الهابطة وفلسفاتهم الجوفاء وتحت مسميات براقة تثير الاهتمام، مما اغتر بها كثير من شباب المسلمين وانبهرت بها عقولهم الفتية، مما جعلهم يتهافتون على حضارة الغرب وثقافتهم، تهافت الذباب على القمامة.

قال جيفورد بلجراف (GEEFORD BLGRAF) في كلمته المشهورة: (مضى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة (يعني الحضارة المسيحية) التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه).

فهم بهذين الأساسين (القرآن ومحمد ﷺ) يخشون على أنفسهم من أن يغزوا بلادهم ويدخلا في قلوب أبنائهم وبناتهم.

فهذا (البرمشادور) يحذر أيما تحذير من عودة المسلمين فهو يقول: (من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي أصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب، لست متنبئاً، لكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة

(1) روائع إسلامية: ج2 ص 83.

(2) نفس المصدر: ج2 ص 75.

ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنا ذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها⁽¹⁾.
لقد تبين لهم أنه لا وسيلة إلى إقصاء القرآن إلا بالسيطرة على وسائل التعليم شيئاً فشيئاً حتى لا تتمكن الأمة من السيطرة عليه، فتوجهوا إلى منارة العلم مصر الأزهر، ومن خلال عميلها (محمد علي) سنة 1805م، وكان أول ما قاموا به أن أرسلوا بعثة إلى فرنسا سنة 1826م يرافقهم (رفاعة الطهطاوي) شاب في الخامسة والعشرين من عمره الذي تلقى علومه في الأزهر، ليكون إماماً لهم بالتأثير بحضارة الفرنسيين، فلما عاد إلى مصر دعا إلى استعمال اللغة العامية بدلاً عن اللغة العربية الفصحى، فألف كتاباً سماه: (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل) سنة 1868م⁽²⁾، الذي تضمن الدعوة إلى التنحي عن القيم والمعالم الإسلامية والعربية وضررها بعرض الحائط، والتأثر بالمبادئ والعادات الأوروبية.

وجاء في المجلد الثالث من مجلة (المقتطف) ما يأتي: (ليقل لنا أهل (إسبانيا) أين الثمانون ألف كتاب التي أمر (كردينالهم شيمتر) بحرقها في ساحة غرناطة بُعيد استظهارهم عليها، فأحرقوها وهو لا يعلم ما يعملون، حتى أفنوا على ما قال مؤرخهم (ربلس) ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب؟ وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك، حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا؟ وما يقولون عن السفن الثلاث التي ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة، وطالبت ديار سلطان مراکش، فسلبوها، وألقوا كتبها في قصر الاسكو ريال) سنة 1671 ميلادية الموافقة لسنة 1082 حتى لعبت بها النيران، فأكلت ثلاثة أرباعها، ولم يستخلصوا منها إلا الربع الأخير، حينئذ استفاقوا من غفلتهم، وعلموا كبر جهالتهم، ففوضوا إلى ميخائيل القصيري الطرابلسي الماروني ترتيبها وكتابة أسمائها، فكتب لهم أسماء 1851 كتاباً⁽³⁾.

(1) روائع إسلامية: ج2 ص 83.

(2) نفس المصدر: ج2 ص 49.

(3) روائع إسلامية: ج2 ص 48.

ولله المنة، فقد أخذ الإسلام ينتشر بينهم شيئاً فشيئاً وبشكل مطرد لا يكاد يصدق، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾⁽¹⁾، والحمد لله رب العالمين.

استهداف اللغة العربية بالإقصاء والتبديل:

وليس بعيداً عن يومنا المعاصر فقد شن أعداء الله حملة مسعورة على لغتنا العربية الفصحى ووضعوها في قفص الاتهام، واعتبروها مجرماً من الطراز الأول، وهي اللغة الوحيدة التي تتسع لأكثر من مرادف ومعنى، نقول: لماذا هذه الحرب الضروس على اللغة العربية؟ وجوابنا الذي لا يتعدى إلى غيره، لأنهما - أي اللغة العربية - لغة القرآن الكريم أولاً، وثانياً: اللغة الوحيدة التي تجمع أوصال الأمة الإسلامية وتوحيدها، كما يجمعها دينها الواحد ويوحدها.

إذن المؤامرة على اللغة العربية كبيرة جداً، فهم - أي أعداء الإسلام - لا يريدون لأمتنا الإسلامية أن تجتمع على كلمة سواء، ومبدأهم الذي لازال قائماً إلى يومنا هذا فرق تسد.

وقد حاولوا لذلك، فقد استطاع الماسوني اليهودي المارق الحبيث (كمال أتاتورك) في العقد الثاني من القرن العشرين، وعند سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وفرض حظراً شديداً على كل من يتكلم العربية، حتى أصبحت اللغة السائدة في تركيا اليوم اللغة اللاتينية، وهذه لعمر الحق من الطامات الكبرى التي ألت بأمتنا وبلغتها.

فلم تكن هذه الحملة الشرسة مقتصرة على تركيا فحسب إنما شملت جميع أرجاء العالم الإسلامي شرقيه وغربيه، والطامة الأشد أيضاً أن لهذه الحملة مروجون من أبناء جلدتنا، فقد ساهموا مساهمة فعالة في نشر اللهجات العامية والتشجيع عليها كبديل عن اللغة الفصحى، مما أدى إلى أن تثمر جهودهم، وتنتشر العامية بين المسلمين، وأصبحت هي الوسيلة الدارجة للتفاهم بين أبناء البلد الواحد، وإن كان الحرف عربي الذي تتألف منه المفردة العامية، بل وكثير من المفردات دخيلة عليها من لغات أخرى، فلا تمت إلى لغتنا بصلة لا من قريب ولا من بعيد، وليس لها أصلاً فيها.

(4) فاطر: 43.

يقول الشيخ النعمة: (ووجدت هذه الدعوات الضالة المضلة آذاناً صاغية لها من قبل قسم من المحسوبين على هذه الأمة، لكن المفكرين المسلمين من الغيورين على هذا الدين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الدعوات التي استهدفت القرآن أولاً، وتمزيق الأمة العربية بعد ذلك) (1).

إذن هي حرب مسعورة لا هودة فيها شنها الغربيون على لغتنا العربية الفصحى، وحاكوا لذلك المؤامرات والدسائس، لإضعاف اللسان العربي واستعمارده، وإيجاد لغات بديلة عنها. قال القس زويمر: (إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقيا الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية) (2).

فهو بهذا الخطاب يلفت نظر مفكري الغرب - من واضعي المناهج الهدامة - إلى اللغة العربية بالقضاء عليها ورفعها من اللسان العربي، لأنها كما يصفها توحد شمل المسلمين وتجمع شتاتهم، لهذا يوجه الدول الاستعمارية إلى أن تصب جلّ اهتمامها بكيفية إزالة هذا المعوق والكابوس أمام تقدم حضارتهم، والتغلغل إلى قلب الأمة الإسلامية.

ويتوسع زويمر بطرح فكرته هذه، لتكون أكثر قبولاً وتوضيحاً فيقول: (يوجد لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادي، ومجال الدعوة إلى الله وهما: الانجليزي والعربي، وهما الآن في سباق وعناد لا نهاية لهما لفتح القارة السوداء، مستودع النفوذ والمال، يريد أن يلتهم كل منهما الآخر، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري: أعني النصرانية والإسلام) (3).

ويقول الشيخ النعمة أيضاً: (وكمثال على ذلك - أي المؤامرة على اللغة العربية - ما قاله لي مدير مدرسة الفلاح في (بانكي) عاصمة (أفريقيا الوسطى): إن الفرنسيين منعوا تدريس

(1) لغتنا والمؤامرة: 7.

(2) أباطيل وأسمار: 27.

(3) الفصحى لغة القرآن: 119.

اللغة العربية في المدرسة وشنوا حرباً لا هوادة فيها على لغة القرآن، ووظفوا بعض المفتشين ليقوموا بتفتيش مدرسته خشية أن تدرس فيه اللغة العربية، فلم يكن لهذا المفتش وقت محدد يأتي إليه ليفتش المدرسة، بل كان يأتي في أي وقت شاء، فإذا علم الطلاب بقدومه أخفوا ما كان معهم من كتب العربية تحت الحصير، ثم جلسوا فوقها، ووضعوا أمامهم كتباً أخرى، وكان ذلك المفتش يأتي إلى مدير المدرسة في بيته ويفتش حتى تحت سريره⁽¹⁾.

لقد مارسوا مختلف الوسائل للقضاء على لغة القرآن، فلم يكن لهم منهج واحد بل عدة مناهج وأساليب، وما انفكوا من محاربتها ووضع العراقيين أمام انتشارها في كثير من بلاد أفريقيا، ناهيك عن البلاد الأخرى.

ويضيف الشيخ إبراهيم النعمة قائلاً: (وقد واجه الشمال الأفريقي معركة ضارية عنيفة ضد لغتنا العربية، وانحسرت دراسة العربية عن المدارس الرسمية، ولم يبق لها أثر إلا في حلقات المساجد والكتاتيب والمدارس الأهلية وجامعتي الزيتونة والقرويين، أما المشرق العربي فكانت الحملات على العربية تتمثل بدعوات مستمرة في مهاجمتها، وقد حمل لواءها غربيون مقيمون في البلاد أولاً، ثم حمل دعوتهم وطنيون يحملون الفكر الغربي فتارة يقومون بالتشكيك بصحة الأدب العربي القديم، وتارة بتشجيع اللهجات المحلية لتتمزق الرابطة اللغوية بين العربي وأخيه العربي، وتارة تنور على القديم باسم التجديد)⁽²⁾.

اهتمام علماء المسلمين باللغة العربية قديماً وحديثاً:

لقد اهتم علماءنا الأفاضل باللغة العربية أيما اهتمام وبالغوا بها، فكانت لهم أسفار ومؤلفات ثرة ملئت الأرض حيث تناولت مختلف الفروع المتعلقة بها، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حبهم البالغ لهذه اللغة، ومن هذا الباب أصبح تعلم اللغة العربية بكافة فروعها من الدين، وكلما ازداد المسلم علماً بالعربية ازداد تقرباً إلى الله عز وجل فقد جاءت فتاوى العلماء باعتبار تعلمها فريضة من فرائض الدين، وأن الصلاة لا تصح إلا بها، وأن بقية العلوم الشرعية لا تفهم

(2) لغتنا والمؤامرة: 30.

(3) لغتنا والمؤامرة: 37.

ولا تدرك إلا بتعلمها، لهذا نجد أن القراءات القرآنية لا تكون صحيحة إلا إذا وافقت شروطاً ثلاثة، وكان أحدها أن توافق القراءة وجهاً من وجوه العربية، فإن لم توافق فهي قراءة شاذة لا يتعبد بها (1).

قال الإمام الشافعي (رحمه الله): (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له) (2).

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يرى هو الآخر أن تعلم العربية من الفروض الواجبة فيقول: (وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) (3). ويقول الشيخ النعمة: (وبناءً على ما قرره الجهابذة من العلماء، نقول: إن تعلم اللغة العربية فرض واجب على كل مسلم في هذا الوجود، ذلك لأنها لغة الإسلام الرسمية، فيجب على المسلمين في أنحاء الدنيا كلها أن يتعلموها بقدر استطاعتهم، ذلك لأن الإسلام هو الدين الوحيد) (4).

ومن أعجب ما سمعت ؛ أن أحد أولياء الأمور دفع ابنه إلى أحد العلماء لينتهل منه علوم اللغة العربية بمختلف فروعها، وكان ذلك عندما أخذت العجمة تطغى على اللسان العربي شيئاً فشيئاً، وكانت عادة هذا العالم أنه يمنح تلميذه الإجازة العلمية بعد خمس سنوات من تلقيه تلك العلوم، ولما انتهى العالم بعد السنوات الخمس من تعليمه إياه طلب التلميذ من شيخه أن يجيزه،

(4) ينظر: السعود في قراءة عاصم بن أبي النجود: 25 .

(1) الرسالة للإمام الشافعي: 48.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم: 207.

(3) لغتنا والمؤامرة: 17.

لكي يعود إلى بلدته البعيدة، فما كان من الشيخ إلا أن طلب من التلميذ أن يتجول في سوق المدينة، ثم يعود إليه ليسأله سؤالاً واحداً محدداً، فلما عاد بعد أن تجول في طرقات المدينة وأسواقها، قال له الشيخ: ماذا وجدت في السوق يا ولدي؟ قال التلميذ: لم أجد شيئاً، قال الشيخ: إذن أعيد عليك الدرس خمس سنوات أخرى، قال التلميذ متعجباً لماذا يا شيخ؟، فأعاد عليه الدرس خمس سنوات أخرى، وبعد أن انقضت، طلب منه أن يجيزه، فقال: لا أجيزك حتى تتجول في السوق وتعود لأسألك، ذهب التلميذ وعاد، فقال له شيخه: ماذا وجدت يا فتى؟ قال التلميذ: لم أجد شيئاً، قال الشيخ: إذن أعيد عليك الدرس خمس سنوات أخرى، فتذمر التلميذ، ولكن الشيخ أبقى عليه إلا ذلك، فأعاد عليه الدرس خمس سنوات، وبعدها قال يا شيخ قد مضت خمس عشرة سنة وأنا بعيد عن أهلي، ولا أعلم ماذا تريد مني تحديداً، قال: اذهب إلى السوق وتجول في أركانه، وعندما تعود فسألك نفس السؤال السابق، فإن أجبت فسوف تكون مؤهلاً للإجازة العلمية. فذهب التلميذ وهو يسترجع، وتجول في أركان السوق وتكلم مع الناس وحاورهم، ثم عاد إلى شيخه، فقال له الشيخ: يا فلان ماذا وجدت في السوق؟، قال: يا شيخ وجدت أن العجمة قد طغت على اللسان العربي وبشكل غير مألوف.. قال: الآن أجيزك لكي تكون لهذه الأمة عالماً وتحفظ بلسانك الحرف العربي، ومن أجله كنت أسألك، ومن أجل هذا يجب أن نحول العلم إلى عمل.

واليوم فإننا نجد أن كثيراً من شباب المسلمين توجه لطلب تعلم اللغة العربية ودراساتها ولكافة فروعها، وقد هيئت لذلك المعاهد والكليات، وأن أغلب المناهج اليوم تدرس باللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، وهذا مما يجعلنا أن ننظر إلى أن مستقبل هذه الأمة سيكون كسالفها بإذنه تعالى.

المرأة المسلمة أمام تحديات الأعداء:

ومن الأمور الأخرى التي جعلوها هدفاً لسهامهم (المرأة المسلمة)، فقد وجهوا مشاريعهم ومخططاتهم نحو حجاب المرأة المسلمة وعفافها وشخصيتها، وقد تحقق لهم بعض ذلك، ولكن

سرعان ما انقلب السحر على الساحر، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾⁽¹⁾.

فالمرأة المسلمة عادت إلى رشدتها وصوابها وحجابها.. وأصبحت داعية مرشدة للخير مقبلة إلى ربها بكل همة وإخلاص بعد ضعف وغفلة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽²⁾.
فاليوم نرى المرأة المسلمة التي كانت بالأمس عارية ماجنة، عادت إلى طهرها، لتكون في أحسن حال ونعمة.

ولا يخفى على كل عاقل منصف أن المؤامرات التي صوبت تجاه المرأة المسلمة ليست بالقليلة والبسيطة، فقد اتهموا الإسلام بأنه وراء سحق المرأة وأهانتها، وكانت لهذه المؤامرات والدسائس رواجاً عظيماً وسط الساقطين والناعقين وراء بهرجة الغرب ودعاياته، ووسط دعاة تحرير المرأة.
يقول الشيخ النعمة: (هكذا تاهت المرأة المسلمة وسط تيارات كانت تتجاذبها هنا وهناك. حصل ذلك كله بعد أن خدعها الخادعون، ولعب بها وبعواطفها الفاسدون.. أولئك ارتطمت أرجلهم بمفاسد الحضارة الغربية، وانغمست حياتهم بالفساد والانحلال إلى الأذقان، وما أسرع ما تنخدع الغواني بألفاظ المدح، وكلمات الثناء، وعبارات الإعجاب، ولم يجانب أمير الشعراء الصواب حين قال:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

وهكذا صارت المرأة المخدوعة بسراب الغرب تتردى في مهاوي الضلال سنة بعد سنة، بل نزلت إلى حضيض آسن تمجده الأذواق السليمة، وتنفر منه الطباع الصحيحة)⁽³⁾.

فالإسلام هو الوحيد الذي صان المرأة وبنى لها كياناً يليق بها، كيف لا وهي الأم، والزوجة، والأخت، والابنة، وهي التي أنشأت رجالاً كان لهم صولات وجولات في مجال الحياة على مر العصور وقد قيل وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة.

(1) فاطر: 43.

(2) الحج:

(3) قضايا المرأة المسلمة في مواجهة التحديات: ص 263.

المطلب السابع

الإشارات بظهور الإسلام وعودته في التوراة والإنجيل والكتب القديمة

مقدمة:

إن مما تجدر الإشارة إليه أن اليهود والنصارى قد أزالوا اسم النبي محمد ﷺ وكل ما يشير إليه صراحة من كتبهم المقدسة، ولكننا نجزم يقيناً بأن الله عز وجل قد ذكره فيها ولكن يدهم المحرمة حذفته وأزالت كل ما يتعلق به ﷺ كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سَحَرٌ مِمَّنْ﴾⁽¹⁾.

وكذلك يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقرآن أيضاً يشير إلى ذلك، فقد روى القرطبي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾ سأل عمر بن الخطاب عبد الله بن سلام، وقد كان كتابياً فأسلم؛ أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في أرضه بنعته فعرفته، أما ابني فلا أدري ما الذي قد كان من أمه⁽³⁾.

واليهود قبل بعثة النبي ﷺ كانوا يستفتحون على العرب في المدينة، يقولون: إن نبياً سيبعث قريباً سنتبعه ونسير على خطاه، فنقتلكم معه قتل عاد وارم، ولما نكثوا عهدهم مع الله عز وجل أنزل عليهم قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

(1) سورة الصف: 6.

(2) سورة البقرة: 136.

(3) تفسير القرطبي: 158/2.

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ⁽¹⁾.

ولكن هناك إشارات لها دلالة على نبوة رسول الله ﷺ لازالت موجودة في كتبهم قد تنبه لها علماءنا، أحببنا ذكرها في هذا المطلب كإشارة إلى عودة الإسلام وقيادته للعالم.

فدعوة نبينا ﷺ وعلاقتها بدعوات الأنبياء السابقين قائمة على أساس التأكيد والتميم كما دل على ذلك حديث رسول الله ﷺ، قال ﷺ: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ))⁽²⁾.

وهكذا فقد تلاحقت بعثتهم إلى مختلف الأقوام والأمم ليؤكد الجميع حقيقة واحدة أمروا بتبليغها وحمل الناس على الإذعان لها، ألا وهي الدينونة لله عز وجل وحده.

ويصدق ذلك قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾⁽³⁾.

الإشارات التي جاءت في التوراة والإنجيل كدلالة على نبوة رسول الله ﷺ:

أولاً - الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ في التوراة⁽⁴⁾:

⁽⁴⁾ سورة البقرة 89.

⁽¹⁾ صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم الحديث (3535)، وصحيح مسلم: رقم الحديث (2286) من حديث أبي هريرة .

⁽²⁾ سورة الشورى: 13.

⁽³⁾ وجاء في إفحام اليهود: 140-141، قال: السَّمُؤَال: (فهذه التوراة التي بأيدي اليهود حقيقة هي كتاب (عزرا الوراق) وليس كتاب الله.. ولذلك بالغوا بتعظيم (عزرا) غاية التعظيم وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره، الذي عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم، وعزرا هذا لم يكن عالماً بل جاهلاً بالصفات الإلهية، فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والذامة على ما مضى من أفعاله وهو مبدأ البداء الذي يتمسكون به).

وقال الإمام الجويني (ت 478 هـ): (إن التوراة التي بيد اليهود الآن: هي التوراة التي كتبها عزرا الوراق، بعد فتنهم مع (بخت نصر).. وهذه النسخة التي كتبها عزرا قبل بعثة المسيح عليه السلام بمائة وخمس وأربعين

1- جبال فاران:

نصت التوراة في (سفر التثنية 33: 1-2) ما يقوله موسى عليه السلام: (وَأَمَادَ أَذُونَايَ
مِصِّيَايَ إِشْكَلِّي وَدَبَّهَوْرُ

يَقَايَهُ مِصْعِيرُ اثْحَزِي لَأَنَا اسْتَحْيَ بَغُورْتِيهِ تَمَلُّ طُورَادَ فَارَانَ وَعَمِّيهِ رَبَّوَاتَ قَدِيسِينَ).
ترجمة النص: (إن الله تعالى من سيناء تجلّى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال
فاران ومعه ربوات

القدس وعن يمينه نار شريعة لهم).

قال السّمؤال: (وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشّراة الذي به بنو العيص الذين
آمنوا بعيسى عليه

السلام، بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام، ويعلمون أن سيناء هو جبل
الطور، لكنهم لا

يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة، وفي الإشارة إلى الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام
نبوة هؤلاء الأنبياء،

ما يقتضي للعقلاء، أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر بإتباع مقالتهم⁽¹⁾.

فالنص يدل على الأماكن المقدسة الثلاثة، فالأول: سيناء وهو المكان الذي فيه موسى كما
جاء في: (التوراة

خروج 16: 24-18)، والثاني: سيعير وتعني أرض فلسطين التي سكنها عيسو أخو يعقوب
أي أخو إسرائيل

كما جاء في (تكوين 36: 8)، وكذلك (سفر التكوين 36: 8) يقول: (فسكن عيسو في
جبل سيعير) وعيسو

(سنة) ينظر: (الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل): ص 31، نشر مكتبة الكليات الأزهرية 1399 هـ
1979 م.

(4) إفحام اليهود وقصة إسلام السّمؤال ورؤياه النبي ﷺ: 118.

هو أدوم، وكذلك جاء في (سفر التكوين 2:32): (وأرسل يعقوب رسلاً قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعيير
 بلاد أدوم)، والثالث: هو جبال فاران، وهي جبال مكة، تقول التوراة إن إسماعيل سكن في
 بركة فاران، إذ جاء
 في (سفر التكوين 21: 17-21): (ويسب بمذبار فاران وتقاح لو إمو إشمياء يَزمن
 مصرايم)، وترجمته:
 (سمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر لا تخافي،
 لأن الله قد سمع
 لصوت الغلام حيث هو، قومي احملِي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح
 الله عينيه فأبصرت
 بئر ماء، فذهبت ومألت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية
 وكان ينمو رامي قوس
 ، وسكن في بركة فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) ⁽¹⁾.
 قال السموأل: (فأما الدليل الواضح من التوراة، على أن جبل فاران هو جبل مكة، فهو
 أن إسماعيل لما
 فارق أباه الخليل عليه السلام، سكن إسماعيل في بركة فاران) ⁽²⁾.
 فهذه إشارة إلى أن جبل فاران هو جبل مكة، لأن إبراهيم عليه السلام استوطن فيه هو
 وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل
 (عليهم السلام).
 قال السموأل: (وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على
 جبل فاران، لزم أن

⁽¹⁾ مناظرة بين الإسلام والنصرانية: 223.

⁽²⁾ إفحام اليهود: 119.

تلك النبوة على آل إسماعيل، لأهم سكان فاران، وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد

إسماعيل محمد ﷺ، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل⁽¹⁾.

وقد ربط أحد الباحثين بين هذا النص التوراتي وبين قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ

الْأَمِينِ﴾⁽²⁾، فالتين والزيتون إشارة إلى مكان بعثة عيسى، وطور سنين إشارة إلى نبوة موسى، وهذا البلد الأمين

إشارة إلى نبوة محمد ﷺ⁽³⁾.

2 - نبؤات العهد القديم عن الرسول الخاتم:

جاء في (سفر التثنية 18: 18 - 19): (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي به باسمي أنا أطلبه).

إن هذا النص الذي جاء على لسان موسى (عليه السلام) يبين لنا ما يأتي:

1- عبارة (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم) أن الضمير الغائب المتصل يشكل حقيقة من الحقائق، فلو كان النبي من بني إسرائيل لقال: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم) فيكون الضمير للمخاطب.

2- عبارة (مثلك) إنما تعني النبي المنتظر الذي سيكون مثل موسى (عليه السلام)، فإننا نرى أن موسى (عليه السلام) أوحى إليه بشريعة، وعيسى (عليه السلام) ما جاء بشريعة جديدة بل كما قال: (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما

(3) المصدر نفسه: 119-120.

(4) سورة التين: 1-3.

(5) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية، طبعة المدني بالقاهرة .

جئت لأنقض بل لأكمل)، أما رسول الله محمد ﷺ فقد أنزل الله عليه القرآن الكريم، وهو الرسالة الخاتمة والرسالة المهيمنة على كل الرسالات.

3- عبارة (وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)، هذا دليل قاطع ضد المستشرقين الذين يفترون على رسول الله بأن القرآن من وضعه، وتأليفه، وأكثر من هذا ما جاء في نفس (سفر التثنية: 18: 19): (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي به باسمي أنا أطلبه) (1).

من أباطيل اليهود على القرآن:

1. يعتقد اليهود أن الفصاحة المعجزة التي في القرآن الكريم هي من تأليف عبد الله بن سلام ﷺ، والقصة في ذلك: أنهم يزعمون أن محمداً ﷺ كان قد رأى أحلاماً تدل على كونه صاحب دولة وسultan، وأنه سافر إلى الشام في تجارة خديجة (رضي الله عنها) واجتمع بأحبار اليهود وقصَّ عليهم أحلامه وتطلعاته، فعلموا أنه صاحب دولة، فاصحبوه عبد الله بن سلام (2)، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة، فمن مقرراته في شرع النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق

(1) ينظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية: مناقشة بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية: 219، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1407 هـ .

(2) سبب إسلامه: كما جاء في صحيح البخاري برقم (3151) عن أنس بن مالك ﷺ أنه لما بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء يتزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء يتزع إلى أخواله فقال رسول الله ﷺ: ((خبرني بمن آتفاً جبريل)) قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: ((أما أول أشرط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها)) قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: ((أي رجل فيكم عبد الله بن سلام))، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، فقال رسول الله ﷺ: ((أفرايتم إن أسلم عبد الله))، قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا عليه .

إلا أن تنكح آخر، ليجعل - بزعمهم - أولاد المسلمين (مزرهم)، وهذه الكلمة تعني أولاد زنا، لأن في شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره كان أولادهما معدودين من أولاد الزنا (1).

وما دروا أنهم بهذا يعترفون بفصاحة القرآن المعجزة، ولكن هذا شأنهم، التضليل والتشويه، ليحققوا هدفهم السياسي والديني، من أجل أن تبقى لهم الزعامة والريادة على هذه الأرض. وصدق الله القائل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (2).

2. وأما نسخ الأحكام، فإنه لقصور فهمهم وعدم استطاعت عقولهم تدبر هذا العمل الآلهي، فقد ذهبوا إلى أن هذا الحكم في النكاح من موضوعات عبد الله بن سلام ﷺ، فقد قصد به أن يجعل أولاد المسلمين كلهم أولاد زنا بزعمهم (3).

ثانياً - الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ في الإنجيل:

قال عبد الأحد داود في فقرة (الإسلام مملكة الله في الأرض): (عند دراسة تلك الرؤيا التي رآها النبي دانيال (الفصل السابع)، رأينا كيف أن محمداً كانت ترافقه مجموعات كبيرة من الكائنات السماوية، وكيف قادت إلى الحضرة الربانية المجيدة، وكيف سمع كلمات التكريم والمحبة التي لم يحظ بها مخلوق (سفر التكوين: 12) وكيف توج سلطاناً على الأنبياء وخول السلطة لتدمير الوحش الأحمر والقرن الكافر، كذلك رأينا كيف منحت له السلطة لإقامة مملكة الله على الأرض، وكيف أن السلطة العبقريّة البشرية القادرة على تصور التكريّات الرفيعة التي منحها الله تعالى إلى عبده المحبوب وأعظم رسله قدراً) (4).

البرقليطوس (periqlytos) يعني أحمد:

(3) أفحام اليهود: 146.

(1) سورة البقرة: 87.

(2) أفحام اليهود: 147.

(3) محمد في الكتاب المقدس: 133.

هذا نص يوناني يعني (أحمد)، حيث جاء في سفر (يوحنا 16/14): (وسوف أسأل الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد).

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (1).

لقد احتالت النصرانية على هذه التسمية في هذا المصطلح البرقليطوس (periqlitos)، فقالوا فيه أوصافاً كثيرة، ولكنها جميعاً مجانبة للصواب، والصواب ألما تعني (أحمد).

فقد جاء في قاموس الاسكندر الإغريقي - الافرنسي: أن كلمة (برقليطوس) تعني من الناحية اللغوية البحتة: (الأحمد والأشهر والمستحق للمديح)، فهو اسم مركب من مقطعين الأول: (peri) والثاني: (qlytos) وهذا مشتق من التمجيد أو الثناء ويعني بالضبط ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية، أي المشهور والمجد (2).

قال عبد الأحد داود: (لا يوجد أدنى شك أن المقصود بالبرقليط هو محمد أي أحمد، فالاسمان لهما نفس الدلالة بالضبط واحد باليونانية والآخر بالعربية، لهما معنى واحد وهو الأشهر أو الأكثر حمداً)، ويقول أيضاً: (إن التزليل القرآني القائل بأن عيسى بن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وأحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً وأن القرآن تنزيل إلهي فعلاً، إذ لم يكن في وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البرقليط كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي والتزليل الإلهي، وحجة القرآن قاطعة ونهائية، لأن الدلالة الحرفية للاسم اليوناني تعادل بالدقة ودون شك كلمتي أحمد ومحمد) (3).

حديث بحيرا الراهب عن رسول الله ﷺ:

فالقصة في السير والسنن؛ أنه لما تم لرسول الله ﷺ من العمر اثنتا عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه، ولما نزل الركب (بصرى) مروا على راهب هناك

(4) الصف: 16.

(5) محمد في الكتاب المقدس: 222.

(1) محمد في الكتاب المقدس: 223 - 225.

يقال له (بحيرا) وكان عليمًا بالإنجيل خبيراً بشؤون النصرانية، وهناك أبصر بحيرا النبي ﷺ فجعله يتأمله ويكلمه، ثم التفت إلى أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك، فقال: ابني - وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له وشفقته عليه - فقال له بحيرا: ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حياً، فقال: هو ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟، قال: مات وأمه حبلى به، قال بحيرا: صدقت، فارجع به إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه هنا ليلبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة (1).

يقول البوطي: (يدل حديث بحيرا عن رسول الله ﷺ - وهو حديث رواه عامة علماء السير ورواها، وأخرجه الترمذي مطولاً من حديث أبي موسى الأشعري - على أن أهل الكتاب من يهود ونصارى، كان عندهم علم ببعثة النبي ﷺ ومعرفة بعلاماته، وذلك بواسطة ما جاء في التوراة والإنجيل من خبر بعثته وبيان دلائله وأوصافه، والدلائل على ذلك مستفيضة) (2).

ما جاء في (سفر أشعياء - إصحاح 42):

ورد في (سفر أشعياء - إصحاح 42) وثيقة تتحدى كل من لا يؤمن بمحمد ﷺ، حيث وصفت هذا النبي وقومه بخصائص وأحوال قبل مجيئهم، ثم حالهم بعد ظهوره بينهم، وهذه الخصائص والأوصاف لا تنطبق إلاً عليه ﷺ والوثيقة على شكل فقرات وهي:

الأولى: تتحدث عن نبي اشتهر بأنه عبد الله ورسوله تقول: (هو ذا عبدي الذي أعضده. مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم).

والثانية: تبين أن الدين يسود وتكتمل الشريعة التي جاء بها في عهده هو، وليس من بعده حيث لم تكتمل المسيحية في حياة المسيح، فقد دخل عليها كثير من عمل التلاميذ وعمل رجال الكنيسة وعمل (بولس)، لكن النبي ﷺ الذي تتحدث عنه نبوءة أشعياء تؤكد اكتمال الشريعة في عهده، ويكتمل الدين في وجوه بحيث لا تستطيع الأجيال اللاحقة أن تقوم بعمليات حذف أو

(2) سيرة ابن هشام: 1/ 180، ورواه الطبري في تاريخه: 2/ 287، فقه السيرة للبوطي: 53.

(3) فقه السيرة: 54.

إضافة إلى ما جاء به هذا النبي.. هذا ما يقوله السفر نفسه: (لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض. وتنتظر الجزائر شريعته)، فهذا السفر يبين لنا أن لهذا النبي شريعة، بينما المسيح ليس له شريعة، لكنه جاء بمجموعة من الأخلاق يحافظ من خلالها على شريعة موسى ويدعو المؤمنين لتطبيقها، فقد كان آخر وصياه قوله في إنجيل (متى 23: 1-3): (على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعلموا لأنهم يقولون ولا يفعلون).

والثالثة: (أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم): إن هذه الفقرة تبين أن الله يعصمه من الناس حتى يكمل رسالته أي أنه لا يموت، ولن يقتل حتى يكتمل الدين، وهذا يؤيد ما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾، فإن هذه الآية لما نزلت قال رسول الله ﷺ: ((أيها الناس انصرفوا عنا فقد حرسنا الله)).

والرابعة: (لترفع البرية ومدنها صوفاً. الديار التي سكنها قيذار. لتترحم سكان سالع. من الجبال ليهتفوا) تبين هذه الفقرة أن هذا النبي يأتي من نسل إسماعيل من إبراهيم عليهما السلام. وقيذار: هو الابن الثاني لإسماعيل كما في (سفر التكوين 25: 13).

والخامسة: (يخزي خزيًا المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا) تبين الفقرة أن هناك علامة بارزة تفرق بين هذا النبي وأي نبي آخر قد يقال: إنها تنبأ عنه كالمسيح أو غيره، فهي تبين بوضوح أن أعداء المنهزمين كانوا عبدة أصنام وأصحاب أوثان، واليهود الذين ظهر فيهم المسيح ما كانوا عبدة أصنام، لقد كانوا يؤمنون بالإله الواحد الحي الذي لا يموت.

والسادسة: (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه) تبين هذه الفقرة أن هذا النبي رجل حرب، ونجد في أسفار موسى أن رجل الحرب صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، هذا ما جاء في (سفر الخروج 15: 3): (الرب رجل الحرب الحرب الرب اسمه..).

(1) المائدة: 67.

والسابعة: (من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبرونه بتسبيحه في الجزائر) تشير إلى حج المسلمين ووقوفهم على جبل عرفة يسبحون الله ويمجدونه وهذا ليس إلا في الإسلام.

والثامنة: (شعب منهوب ومسلوب، قد اصطيد في الحفر كلها، وفي بيوت الحبوس اختبئوا صاروا نهباً ولا منقذاً، وسلباً وليس من يقول رد) هذه الفقرة تشير إلى أن هذا النبي سيظهر في شعب ضعيف كان طعمة لكل آكل، هذا هو حال العرب قبل الإسلام، فقد كانت الحدود الشمالية الغربية نهباً للروم، كما كانت الحدود الشمالية الشرقية نهباً للفرس.

والتاسعة: (لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة، أسير العمي في طرق لم يعرفوها، في مسالك لم يدروها أمشيهم، أبعد الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة، هذه الأمور أفعالها ولا اتركهم) تشير الفقرة إلى أن هذا المجتمع إذا جاء النبي وظهر فيهم تحول العمي إلى مبصرين، والمرضى إلى أصحاء، فانطلقوا في الآفاق حتى خضع لهم العالم.

قال الوزير البريطاني السابق: انتوني فانتيج: (إن ما حدث في الإسلام ليس له مثيل في تاريخ العالم، فلقد كان متوسط مساحة الأرض التي فتحها الإسلام نحو 250 كيلو متراً مربعاً يومياً على مدى سبعين عاماً، لقد امتدت الفتوحات الإسلامية على هذا النحو الخارق لكل تجارب البشر، وهي تفوق الواجب اليومي لأي جيش من جيوش العالم حديثة التنظيم والتسليح).

والعاشرة: يختتم السفر نبوءته بأنه نبي البر الذي يعظم شريعة الله ويكرمها، وهذه تحققت في رسول الله ﷺ فهو نبي الرحمة الذي أرسله ربه إلى العالم كافة.

قال المسيح: (لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)، وهذا ما يقوله القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽¹⁾.

والحادية عشر: أخبر المسيح ابن مريم أن أركون العالم سيأتي، وأركون تعني السيد، والأستاذ

(1) النجم: 2 و3. ينظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية: 232-240، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض - المملكة العربية السعودية 1407 هـ.

(1).

ثالثاً: الإشارة إلى نبوة رسول الله ﷺ في كتب الأولين (2):

1. في كتب البراهمة (كتاب السامافيدا):

(أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة بالحكمة، وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس).

2. وفي كتاب (ندا افستا):

بشارة عن رسول يوصف بأنه (رحمة للعالمين) (سوشانت).. ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة بأبي لهب، ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد (هيج جيزبار وغمار) وليس له أول ولا آخر، ولا ضريع ولا فربيع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا ولد، ولا مسكن ولا جسد، ولا شكل ولا لون ولا رائحة (حزاخاز وانجام وابنا زود شمس والمتر ويار ويدر ومادر وزن وفرزند وماي سوى ومن آسيا وتنافي ورنك وبواست).

3. وفي الكتب الزرادشتية:

(إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم، يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، يومئذ يصبحون - وهم أتباع للنبي - رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ، وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم، وأن نبهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات).

4. وفي كتاب اوروافيدم (ادهروويدم):

(أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث الحمد بين أظهر الناس.. وعظمته تحمد حتى في الجنة ويجعلها خاضعة له وهو المحامد).

5. وفي كتاب بنوشيا برانم (بهوش برانم):

(2) محمد الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل والكتب القديمة، ص: 44 وما بعدها .

(3) المصدر نفسه .

(في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم (محمّد) الملقب بأستاذ العالم والمملك يطهره بالخمسة المطهرة). (ج 2 فصل 3 عبارات 3 وما بعدها).

وفي نفس الكتاب وصف لأصحاب النبي ﷺ (هم الذين يختنون، ولا يربون القزح، ويربون اللحى، وينادون الناس للدعاء بصوت عال، ويأكلون أكثر الحيوانات إلاّ الخنزير، ولا يستعملون الدرباء للتطهير بل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون بمسليّ بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل ودينهم يخرج مني وأنا الخالق). (ج 3 فصل 3 عبارات 27-28).

المطلب الثامن

تجمع اليهود على أرض فلسطين وإفسادهم العالمي دليل على عودة الإسلام وظهوره

شاء الله عز وجل أن يتجمع اليهود في فلسطين بعد أن كانوا في شتات، ليتحقق فيهم وعد الله بنهايتهم الأكيدة، كما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الحتمية في سورة الإسراء بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾⁽¹⁾، وكذلك جاء في سنة رسول الله ﷺ أن اليهود سيتجمعون في بيت المقدس، وسيقاتلهم المسلمون قتالاً لا هوادة فيه لغرض القضاء عليهم قضاءً أبدياً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِي خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ))⁽²⁾.

قال سيد قطب: (ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب

(1) الإسراء: 7 .

(2) صحيح مسلم: 2239/4 برقم (2922)، مسند أحمد: 417/2 برقم (9387) .

أصحاب الأرض الويلات، وليسلمن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعده الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف وإن غداً لناظره قريب⁽¹⁾.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق نبوته ﷺ فيما أخبر به القرآن عن بني إسرائيل في إفسادهم في الأرض مرتين، فسلط الله عليهم في المرة الأولى من قهرهم وقطع شأفتهم، فكان ذلك سبباً لتشريدهم وانتشارهم في الأرض، حيث دُمُرت مملكتهم شر تدمير، واليوم يعودون من جديد إلى نفس الأرض، وهي أرض فلسطين المقدسة، ليقيموا دولتهم الفاشلة الظالمة الجائرة.

قال سيد قطب (رحمه الله) في الظلال في تفسيره لآية الإسراء: (فهذه هي الأولى: يعلنون في الأرض، ويصبح لهم فيها قوة وسلطان، فيفسدون فيها، فيبعث الله عليهم عبادة من عباده أولى بأس شديد، وأولي بطش وقوة، يستيحيون الديار، ويروحون فيها ويغدون باستهتار، ويطئون ما فيها ومن فيها بلا قهيب (وكان وعد الله مفعولاً) لا يخلف ولا يكذب، حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل..)⁽²⁾.

ففي هذه المرة - أي الثانية - سيكون لليهود بجانب إفسادهم سطوة وعلو على العالم بأسره، وذلك بتغلغلهم في داخل المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تدير دفة الحكم في جميع الدول الكبرى، ولاسيما سيطرتها على هيئة الأمم المتحدة، وبالذات على مجلس الأمن، فالقرارات اليوم لا تصدر إلا بمباركة وموافقة يهودية، وبهذا تحقق لهم العلو الكبير الذي ذكره الله في آية الإسراء، ومن المعروف لدى القاصي والداني أن اليهود هم وراء كل خراب يحل في العالم الإسلامي برمته، فإن إسرائيل اليوم تقتل من المسلمين الكثير، وعلى شكل مذابح ومجازر وأخص الناشطين منهم، ولا تبالي للرأي الشعبي العالمي، ولا للرأي العالمي لحقوق الإنسان، وقد تعددت المجازر وبشكل لا تصدقه العقول، وذلك منذ إعلان دولتهم الغاصبة وإلى يومنا الحاضر، لأنهم ما جاؤوا إلا لهذا الأمر.

فتجمع اليهود على أرض فلسطين إنما هو بقضاء الله الذي أشارت إليه سورة الإسراء، وهذا

(3) في ظلال القرآن: 308/5.

(1) المصدر السابق: 306/5.

القضاء - كما يقول العلماء - اليهود فيه مخيرون وليس فرضاً عليهم، إنما هو إخبار من الله تعالى لهم بما سيكون من بني إسرائيل حسب ما وقع في علمه الإلهي من مصيرهم، لا أنه قضاء قهري عليهم تنشأ عن أفعالهم، فالله جل في علاه لا يقضي بالإفساد على أحد من العالمين، ولا يأمر بالإفساد ولا بالفحشاء.

نبذة تاريخية عن كيفية عودتهم إلى فلسطين في العصر الحديث:

لقد بدأ تغلغل اليهود إلى فلسطين منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني، حيث سعى كبار اليهود بالتعاون مع الدول الكبرى، مثل بريطانيا وغيرها إلى أن يجدوا دولة يستوطنها اليهود الموجودون في الشتات، وحاولوا أن يستغلوا الأزمة المالية التي كانت تعصف بالدولة العثمانية، فعرض هرتزل كبير اليهود في عام 1901م على دفع أموال طائلة لخزينة العثمانيين الفارغة مقابل ذلك، فرفض السلطان العثماني عبد الحميد (رحمه الله) مقابله، وقال كلمته المشهورة التي تكتب بماء الذهب للصدر الأعظم لينقلها لهرتزل اليهودي: (انصحوا الدكتور هرتزل بألاً يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فأني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين.. فهي ليست ملك يميني بل ملك الأمة الإسلامية، لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملاينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون.. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة).

ويذكر لنا التاريخ أن اليهود لما طردوا من اسبانيا اعتباراً من سنة 1492م وكان عددهم (300) ألف، لجئوا إلى الدولة العثمانية فعاملتهم بالحسنى وحسب أحكام الشريعة الإسلامية، وقبلتهم على أرضها، وعندما تغلغلوا في مرافق الحياة كافة أوعز المجلس الأعلى لليهود إلى بعض هؤلاء كي يتسنى لهم التغلغل في مراكز المال والجاه والسلطان، ودخل هؤلاء الإسلام واقعاً وسموا بالدوغة - أي المرتدون إلى الإسلام - واتخذوا لهم أسماء إسلامية مع الاحتفاظ بأسمائهم الأصلية بينهم، وقاموا بأدوار خيانية خطيرة ضد الدولة وشعبها المسلم من قتل بعض السلاطين إلى إثارة الاضطرابات في المجتمع إلى إثارة الحروب إلى الانقلابات الفكرية إلى نشر الآراء المشككة في الدين

الإسلامي، وأخيراً إسقاط الدولة والخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية اللادينية⁽¹⁾، وطائفة الدونمة انتسب معظمهم إلى جمعية الاتحاد والترقي الماسونية، وأنهم قادوا الجانب الأكبر من ثورة تركيا الفتاة ضد الدولة العثمانية من أجل خلع السلطان العثماني.

وفي سنة 1917م أعطى الانجليز وعداً سموه (وعد بلفور) باسم وزير خارجيتهم، تتعهد بريطانيا من خلاله تمكين اليهود بالسيطرة على فلسطين وإنشاء دولة لهم عليها. وعند نهاية الحرب العالمية الأولى، والقضاء على الخلافة العثمانية تماماً نشأت عصبة الأمم المتحدة – الدول التي خرجت من الحرب منتصرة – التي بدورها فرضت صك الانتداب البريطاني على فلسطين سنة 1922م، والتي من مواده أن تنفذ بريطانيا وعد بلفور.

وبدأت بريطانيا تتخذ من الإجراءات ما يمكن لليهود من القدوم إلى فلسطين من شتات الأرض وتدريبهم وتسليحهم لخوض المعارك ضد الفلسطينيين.

ثم كانت هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية وقرار التقسيم في 1947/10/29 الذي أصدرته الجمعية العمومية برقم (181)، وهذا القرار قسّم فلسطين بين أهلها وبين إسرائيل. بعد ذلك قامت بريطانيا بتسليم اليهود معظم فلسطين وإقامة دولتهم المزعومة، والتي من خلالها أصبحت لهم السيطرة المطلقة، والعبث بالفلسطينيين.

ثم استطاع اليهود في إيجاد حرب شكلية وهمية مدبرة بين الحكام العرب العملاء لإسرائيل، وكان مجموع تلك الدول آنذاك سبعة، والحجة من هذه الحرب إعلان مظلومية اليهود الطويل أمام الرأي العام العالمي لقيام دولتهم، ومن ثم بروزهم والهيمنة على الفلسطينيين، وفعلاً تم هزم الجيوش العربية السبعة، ليعلوا نجم إسرائيل وتكون لهم هالة من القوة والشجاعة، فأعلنوا أنهم صدوا حرباً جبارة سموها (حرب الاستقلال) وأعلنت لهم دولة إسرائيل في 1948/5/15.

وهكذا أوجد الغرب الكافر هذا الجسم السرطاني في قلب الأمة الإسلامية، ووجد بعد ذلك صراع دولي عنيف تحت مسمى (الصراع الدولي)، فإسرائيل لازالت تبطش بالمسلمين منذ قيام دولتهم إلى يومنا هذا وبلا هوادة، وكل مؤامرة تحدث على الأمة ورائها يهود إلى أن يتحقق وعد

(1) انظر: كتاب اليهود والدولة العثمانية – الدكتور أحمد النعيمي ص 33.

الله فيهم كما أخبر القرآن الكريم والسنة النبوية.

ماذا تعني الصهيونية وما هي أصولها؟:

الصهيونية نسبة إلى جبل صهيون في القدس، والصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، تحكم من خلالها العالم كله، فغاية هذه الحركة تنصب بتشديد هيكل سليمان فيها لتقيم مملكة لها يكون القدس عاصمتها (1). وهذه الحركة تشجع هجرة اليهود إلى فلسطين وشراء الأراضي لإقامة المستعمرات اليهودية فيها.

وهذه الفكرة قديمة جداً، وقد ظهرت هذه الفكرة أساساً في الأسر في بابل حيث تجسدت في الوعد الإلهي المزعوم، من أجل المحافظة على الذات كعرق متمرد متآمر منطو على نفسه، منظم تنظيمًا شبه عسكري وغير قابل للاندماج مع الغير (2).

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (وفي سبيل إبقاء هذه الحركة متأججة، صاغ دهاة اليهود عبر التاريخ حياة اليهود، من خلال المفاهيم الدينية والعنصرية المغلقة في كتب شروحوا بها التوراة سموها (التلمود)، وهو الكتاب الضخم الذي كتب في أماكن عدة وأزمان متطاوله، أخذوا ما فيه من صدق وحكم من الأديان والحكم الهندية واليونانية والبابلية وتجارب الأمم الأخرى، وسطروا فيه بجانب ذلك أحقادهم وشروهم ومؤامراتهم على الإنسانية جميعاً بكلام صريح ولجة واضحة دون حياء ولا خجل، وحللوا فيه لليهود أموال البشر جميعاً وأعراضهم ونفوسهم وخططوا لتدمير مجتمعاتهم ودولهم تمهيداً لإنشاء إمبراطورية يهودية عالمية) (3).

ويشرح لنا بن غوريون اليهودي كيف قامت فكرة عودة اليهود إلى صهيون في بيت المقدس وإحياء الدولة اليهودية، بأنها قديمة وليست من اختراع شخص معين، فيقول: (إن فكرة العودة إلى صهيون وإحياء الدولة اليهودية ليست من اختراع بنسكرو أو هرتزل، فالرؤيا والأمل هما بعمر

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 231 - الرياض - ط الأولى 1409هـ - 1988م.

(1) موقف اليهود من الإسلام والمسلمين - د محسن عبد الحميد ص 3 - مكتبة الرشد، 1996م، التوراة تاريخها وغايتها لكاتب أمريكي - ترجمة سهيل ديب - ص 18 - دار النفائس.

(2) المصدر نفسه ص 4، مستمد من كتاب التلمود والصهيونية - د أسعد رزوق - ص 209.

النفي، النفي ذاته، لا بل يرجعان إلى ما قبل خراب الهيكل الثاني وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة إرساء هذه الفكرة القديمة بجذورها العميقة في حياة الشعب على أساس الحاجات المادية لدى اليهود الأوروبيين في القرن التاسع عشر والبحث عن طرق عمل ناجحة لتحقيق الفكرة.. إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي على مر الأجيال، وأدى إلى خلق الدولة هو تلك الرؤيا المسيائية لدى أنبياء بني إسرائيل، رؤيا خلاص الشعب اليهودي والإنسانية جمعاء ، إن دولة إسرائيل هي لتحقيق هذه الرؤيا المسيائية) (1).

إذن نخلص إلى أن الحركة الصهيونية قامت على أساس إنشاء وطن لليهود في فلسطين تحكم العالم من خلاله، وتسيطر على مقدراته، وذلك بمختلف الوسائل الصحيحة وغير الصحيحة، المشروعة وغير المشروعة، وضمنت ذلك في كتابها (التلمود) الذي كتب بأيدٍ خبيثة اتخذت من الغش والكذب شعاراً لها.. ومع هذا كله، فقد قامت لهم دولة في فلسطين وتحقق لهم ما سعوا إليه، ولكن نهايتهم قد اقتربت بموعود الله، وأن وعد الله لن يتخلف أبداً.

الوفاق العدائي اليهودي والصليبي المستمر على الإسلام وأهله:

واليهود منذ قيام دولتهم الباطلة فهم لا يخشون على أنفسهم إلا الإسلام وأهله، فهذا بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق الذي كان أحد زعماء الرعيل الأول لمؤسسي إسرائيل فوق ثرى فلسطين، يقول: (نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، إنما نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد) (2).

ويقول شمعون بيريز رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وزعيم المعارضة في إسرائيل وأحد زعماء الجيل الثاني في تاريخ إسرائيل: (إنه لا يمكن أن يتحقق السلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد) (3).

(4) موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ص 7.

(1) عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد محمود علي - دار الفرقان للنشر والتوزيع - جبل الحسين - شارع خالد بن الوليد ص 46.

(2) المصدر نفسه ص 52.

وقال إسحاق راين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: (إن مشكلة الشعب اليهودي هي أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع وليس مستعداً لقبول أية حلول مع إسرائيل، إنه عدونا اللدود الذي يهدد مستقبل إسرائيل وشعبها) ⁽¹⁾.

وقال موشي ديان رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: (إن عليهم أن يدركوا أن إسرائيل لن تسمح بانجرافهم نحو الاتجاهات الإسلامية المتعصبة، وإنه في الوقت الذي تشعر فيه إسرائيل أن العرب الذين بقوا في فلسطين قد بدأوا في التمسك بالاتجاهات الإسلامية المتعصبة فإنها لن تتردد في القذف بهم بعيداً لينضموا إلى إخوانهم اللاجئين) ⁽²⁾.

وأما عدااء الصليبيين للمسلمين فليس أقل عداً من اليهود، والحقيقة التي لا مرية فيها أن هناك وفاق عدائي كبير بينهما وراء الكواليس، ويضم معهما العملاء والمنافقين من أبناء جلدتنا.

يقول الأستاذ رعد الحياي: (وهكذا نجد أن موجة العداة تتصاعد بتحريض إعلامي واضح تقف وراءه جهات إسرائيلية تحاول أن تدفع الغرب إلى استعداد الإسلام - وتحديدًا ما اصطلاح على تسميته بالإسلام السياسي - المتلازم مع حالة الصحوة الإسلامية واعتباره قوة مناهضة لمصالحه، وبرز نسق ثقافي - سياسي ينظر إلى الإسلام على أنه الخطر الجديد للغرب بعد الشيوعية يتوجب على الغرب وضع سياسات لاحتوائه وتطويقه، وتحجيم قواه الفاعلة وكبت انطلاقته المتسارعة وتقليص فرصة وصوله إلى الحكم) ⁽³⁾.

وفيما يأتي ندرج بعضاً من أقوالهم:

- قال المستشرق الأمريكي (و. ك. سميث) الخبير بشؤون الباكستان: (إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالذات تورات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها) ⁽⁴⁾.

⁽³⁾ مجلة المجتمع الكويتية - العدد (324) لسنة 1976.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه .

⁽⁵⁾ لماذا هذه الحرب ضد العالم الإسلامي ص 10.

⁽⁶⁾ روائع إسلامية: 53/2.

- وينصح رئيس تحرير (مجلة تايم) في كتاب (سفر آسيا) الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعمارهم، لكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر⁽¹⁾.
- وقال الرئيس الأمريكي السابق نيكسون عام 1985: (يجب على روسيا وأمريكا أن تعقد تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية)⁽²⁾.
- وقال جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق: (والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف، ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوز إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة)⁽³⁾.

المطلب التاسع

نهاية اليهود والنصارى دليل على أن الإسلام منصور بإذنه تعالى

لقد أحاطنا الله جل في علاه ورسوله الأمين ﷺ بأدلة شافية وافية عن نهاية اليهود والنصارى، وقد سبق ذكرها في معرض سرد الأدلة القرآنية والنبوية على عودة هذا الدين إلى حكم المسلمين كما كان عليه أول ظهوره، وسنتناول في هذا المطلب بشيء من التفصيل لمعرفة كيف تكون نهاية كل من اليهود والنصارى وبقية الأمم.

فبادئ ذي بدء علينا أن نبين حقيقة أن أمريكا صاحبة التبشير الصليبي قد دخلت على خط

(1) المصدر نفسه.

(2) وعد كيسنجر ص 71. هذه الكلمة قالها أثناء زيارة (غورباتشوف) لواشنطن عام 1985.

(3) المصدر نفسه ص 81. يقول رعد الحياي: (أما جيمي كارتر فمعروف عنه تعصبه لمذهبه الكنسي، فكان ينتقل بين أفغانستان وأثيوبيا وإسرائيل وسوريا مروراً بالسعودية حاملاً معه مشروعات كثيرة لوأد الصحوة الإسلامية في بلاد المسلمين). ينظر: لماذا هذه الحرب ضد العالم الإسلامي ص 8.

المواجهة بجانب اليهود باسم الحرب على الإرهاب كذريعة لتدمير المسلمين، خاصة بعد صعود الإنجليين المتعصبين، والذين يرون أن في دعمهم لليهود في فلسطين وغيرها تحقيقاً للنبوءات التي يتعلقون بها، فهو تحالف مقيت لتدمير الأمة وإسكات صوتها إلى الأبد، ولكنهم لن يفلحوا، وأن نصر الله لآت، وإن غداً لناظره لقريب، ومن الأدلة على نهاية اليهود والنصارى نذكر بعضها:

أولاً - نهاية اليهود:

1. الأدلة القرآنية على هزيتهم:

فقد ذكر الله عز وجل المسجد الأقصى وبني إسرائيل في نفس السياق من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عَبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَ نَسْتُمْ أَحْسَنُتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ (١) والتي افتتحها بهما إضافة إلى البيت الحرام الذي هو مصدر

إسراء النبي محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى، وهذه الالتفافة القرآنية العجيبة، للدليل لا يقبل الشك على أن اليهود سيتجمعون في فلسطين موقع المسجد الأقصى ويتخذونه موطناً لهم، وسيكون لهم فيها علواً وإفساداً وتسليطاً عسكرياً وسياسياً وأيدلوجياً يسري على كثير من الدول لاسيما العظمى منها كأمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، إضافة إلى سيطرتهم على الدول الصغرى، والتي منها الدول العربية والإسلامية، وسيكون لهم منعة من الله ومن الناس من أن يصل إليهم أي عدو لهم، وهذا ما أخبر به رب العزة والجلال بقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ

(١) الإسراء (٨-١) .

اللَّهُ وَحَبَّلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁽¹⁾.

قال سيد قطب (رحمه الله) عن تفسير هذه الآية: (ولقد وقع ذلك كله بعد نزول هذه الآية، فما كانت معركة بين المسلمين وأهل الكتاب إلا كتب الله فيها للمسلمين النصر - ما حافظوا على دينهم واستمسكوا بعقيدتهم، وأقاموا منهج الله في حياتهم - وكتب لأعدائهم الذلة والهوان إلا أن يعتصموا بذمة المسلمين أو أن يتخلى المسلمون عن دينهم)⁽²⁾.

ولنسلط الضوء على تفسير الآيات الأولى من سورة الإسراء، لكي ينجلي لنا الموقف عن نهاية اليهود على أيدي المسلمين المنتهجين منهج سيد المرسلين محمد ﷺ، والمجانين سبيل البدع والانحراف.

قال البغوي (رحمه الله) في معنى (قضينا): (أي أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون)⁽³⁾.

وذهب المناوي في فتح القدير⁽⁴⁾ إلى أن معنى (قضينا) تأخذ معاني عدة فهي إما أنها تعني: (أعلمنا وأخبرنا)... ثم قال: (وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) قال: أعلمناهم، وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: أخبرناهم، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال: أخبرناهم).

وقال البيضاوي في معنى (وقضينا إلى بني إسرائيل): (وأوحينا إليهم وحياً مقضياً مبتوتاً)⁽⁵⁾.

وفي زاد المسير⁽⁶⁾: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب، قولان: أحدهما: أخبرناهم (رواه

⁽²⁾ آل عمران: 112 .

⁽³⁾ الظلال: 37/2 .

⁽⁴⁾ تفسير البغوي: 67 .

⁽⁵⁾ فتح القدير: 300/3 .

⁽¹⁾ تفسير البيضاوي: 432.

⁽²⁾ زاد المسير: 7/5 .

الضحاك عن ابن عباس)، والثاني: قضينا عليهم (رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة)، فعلى الأول تكون (إلى) على أصلها، ويكون الكتاب التوراة، وعلى الثاني تكون (إلى) بمعنى: على، ويكون (الكتاب) الذكر الأول.

وفي مختصر ابن كثير ⁽¹⁾: يخبر تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً أي يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ⁽²⁾ أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به.

ويجسم الأمر سيد قطب (رحمه الله) بقوله: (هذا القضاء إخبار من الله تعالى لهم بما سيكون من بني إسرائيل حسب ما وقع في علمه الإلهي من مصيرهم، لا أنه قضاء قهري عليهم تنشأ عن أفعالهم، فالله جل في علاه لا يقضي بالإفساد على أحد من العالمين، ولا هو يأمر به كما نص على ذلك القرآن بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ⁽³⁾، إنما يعلم ما سيكون علمه بما هو كائن، فما سيكون كائن) ⁽⁴⁾.

ثم يأتي السياق القرآني من نفس سورة الإسراء لبيان لنا كيف أن اليهود لاقوا فيما مضى من العذاب على أيدي عباد الله ما لاقوا نتيجة أفعالهم القبيحة الشنيعة التي كانوا يستحقون عليها الإذلال والتنكيل والعقوبة الحاسمة، وهذا هو حالهم عبر العصور وكر الدهور، حيث نص القرآن الكريم على ذلك قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عَبْدًا لَنَا أُوْلَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ⁽⁵⁾.

قال ابن كثير: (قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي أولى الإفسادتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عَبْدًا لَنَا

⁽³⁾ مختصر ابن كثير: 533/2.

⁽⁴⁾ سورة الحجر: .

⁽⁵⁾ الأعراف: 28.

⁽⁶⁾ الظلال: 307/5 .

⁽⁷⁾ الإسراء: 5 .

أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي تملكوا بلادكم وسلخوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحداً ﴿وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾، وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم، فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولاً، ثم أديلوا عليه بعد ذلك، وقتل داود جالوت ولهذا قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده، وعنه أيضاً وعن غيره أنه يختصر ملك بابل...⁽¹⁾.

قال الشيخ الأشقر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ أي يدمروا ويهلكوا، (ما علوا) أي ما غلبوا عليه من بلادكم أو مدة علوهم، (تتبرراً) أي تدميراً، ويقول بعض العلماء: إن المرة الثانية: هي هذه التي حصلت في هذا العصر، وأن التتير آت بوسائل من جهة العدو كالطائرات وغيرها⁽²⁾.

ولا يهمننا من هو، ولكن الذي يهمننا من ذلك كله أنهم مهملوا بالغوا في الإفساد والرديلة، فإن الله عز وجل سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، ومن رحمة الله على خلقه أنه يمنحهم الفرص تلو الفرص للعودة إليه والتوبة، ولكن اليهود لا ينفعهم الإمهال فقد غلقت قلوبهم وانطوت على الباطل وفعل المنكرات، وهذا طبع في نفوسهم المريضة إلى أن يأذن الله عز وجل بنهايتهم على أيدي المؤمنين الموحدين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ⁽³⁾ أي أعلمهم إعلاماً ظاهراً بأن الله عز وجل سيرسل ويسلط عليهم إلى يوم القيامة من يذيقهم سوء العذاب، ويجعلهم أذلاء مستضعفين معذبين بأيدي أهل الملل ويسلمون الجزية، وذلك لأنهم تجاوزوا الحد في معصية الله، و(قردة خاسئين) أي أذلاء

(8) تفسير ابن كثير: 25/3 .

(1) زبدة التفسير من فتح القدير : ط2 (1408هـ-1988م)، الكويت، ص: 364.

(2) الأعراف: 167 .

مطرودين (1).

فآيات سورة الإسراء فيها تصريح على نهاية اليهود، ونهايتهم تكون في بيت المقدس بإذن الله، وهذا ما نشاهده اليوم بأم أعيننا، بأن إفسادهم يزيد إلى حد أنهم يقتلون الآلاف من أبناء المسلمين، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا أي نصر ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكمُ الدُّبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، ففي كل مرة يتوغلون بآلتهم الحربية الجبارة في عمق الأراضي التي يسكنها أهلها من المسلمين الفلسطينيين، فيقتلون منهم الكثير، ولكنهم يعودون خائبين مهزومين بفضل الله ومنه، وإن عدتم عدنا، وكان وعد الله مفعولاً.

وقد أحسن وأجاد سيد قطب (رحمه الله) بقوله: (ولقد صدقت النبوة ووقع الوعد، فسلط الله على بني إسرائيل مَنْ قَهَرَهُمْ أول مرة، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض، ودمر مملكتهم فيها تدميراً... ويعقب السياق على النبوة الصادقة والوعد المفعول، بأن هذا الدمار قد يكون طريقاً للرحمة ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم﴾ إن أفدتم منه عبرة، فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض، فالجزء حاضر والسنة ماضية ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ ولقد عادوا إلى الإفساد، فسلط الله عليهم المسلمين، فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد، فسلط الله عليهم عبداً آخرين، حتى كان العصر الحديث، فسلط عليهم هتلر، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره لقريب) (2).

2. الدليل من السنة النبوية على نهايتهم:

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن نهاية اليهود ستكون في بيت المقدس، حيث يكثُر فيها شجر الغرقد، واليوم يُكثِر اليهود من زراعته، فهذه علامة كبرى على صدق رسول الله ﷺ

(3) زبدة التفسير من فتح القدير: 220.

(4) الظلال: 307/5.

وصدق ما يبلغ عنه، وكدليل قطعي لا يقبل الشك من أن نهايتهم أوشكت قريبة بإذن الله.
قال النبي ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود))⁽¹⁾.

قال الإمام النووي (رحمه الله): (الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل اليهود)⁽²⁾.

والذي يقتلهم المسلمون، ويومئذ هم في منعة وقوة ودولة بحيث تعلو رايته في الأرض ليخلصوا العباد من دنس اليهود الذين أكثروا فيها الفساد.
قال رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر ووراءه اليهود: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله))⁽³⁾.

ورغم طغيانهم اليوم وجبروتهم وتسلطهم على مقدرات العالم إلا أن الله عز وجل يبعث عليهم بين الحين والآخر من يسومهم سوء العذاب ويذيقهم الويلات تلو الويلات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾⁽⁴⁾، والتاريخ قد شهد بذلك، فهم كلما أفسدوا في الأرض سلط الله عليهم من يذلهم ويستبيح بيضتهم، وهكذا إلى قيام الساعة.

قال الدكتور القرضاوي: (فالمعنى أن كل شيء سيكون في صالح المسلمين، وضد أعدائهم اليهود، وأن النصر آت لا ريب فيه، وأن أسطورة (القوة التي لا تقهر) التي يشيعها اليهود لن تستمر، وأن الذين اغتصبوا فلسطين بقوة السلاح، وسلاح القوة سيخذلهم الله الذي يملئ

⁽¹⁾ رواه مسلم برقم (2922)، أحمد برقم (9387)، علق عليه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

⁽²⁾ شرح صحيح مسلم: 45/18.

⁽³⁾ صحيح البخاري: 1070/3 برقم (2767)، صحيح مسلم: 2238/4 برقم (2921).

⁽⁴⁾ الأعراف: 167.

للظالمين، ثم يأخذهم أخذاً أليماً شديداً، ولن تغني عنهم ترسانتهم النووية التي يدلون بها، كما لم تغن حصون أسلافهم من بني النضير عنهم شيئاً حين جاءهم بأس الله (1).

وقد لاح في الأفق اليوم أن اليهود لم يبق من عهدهم الذي وعدهم الله إياه إلا القليل القليل، فقد ظهرت قوتهم وظهر تجمعهم وإفسادهم بشكل قاطع يراه القاضي والداني والعدو والصديق، ولا مرية ولا مفر من نهايتهم، لأن وعد الله لا يتخلف، ومن أصدق من الله قيلاً.

وليعلم كل مسلم أن مخلوقات الله جميعاً ستساعد على مقاتلة أعداء الله اليهود، فقد جاء في حديث أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: ((.. فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به اليهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط، ولا دابة إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله..)) (2).

نعم هو صراع قائم لا يفتري، والحرب سجال، كر وفر، نصر وهزيمة، وسيظل ذلك الصراع قائماً حتى تلعو راية (لا إله إلا محمد رسول الله) خفاقة عالية بإذنه تعالى، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

إذن هو صراع مستمر حتى يأتي وعد الله الذي وعد به عباده المؤمنين، يقول الشيخ سفر الحوالي: (إنه في الحقيقة صراع بين عقيدة التوحيد وبين عقيدة الشرك والخرافة، إلا أنه بين عقيدة الحق التي جاء بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ثم جددها محمد ﷺ، وسيجدها عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الدنيا، وبين عقيدة القساوسة والرهبان رواد الدجل والشعوذة الذين افتروا على الله الكذب، وكتبوا باطلاً من عندهم، وقالوا هذا من عند الله بزعمهم، لقد ابتدأت هذه الدعوة الضالة بمخاحمات اليهود والبابوات الضالون ثم انتهاءً بهرتزل وبلفور، ثم

(5) المبشرات بانتصار الإسلام: 42.

(1) الحديث رواه ابن ماجه وإسناده قوي اللفظ له، وساق أبو داود سنده وهو سند صحيح إلى أبي أمامة عن النبي ﷺ ثم قال: نحوه وذكر الصلوات مثل معناه، يعني حديث النواس بن سمعان، وصححه ابن خزيمة ورواه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي، وأورده الحافظ بن حجر في فتح الباري مستشهداً به، فهو عنده حديث صحيح أو حسن.

ينتهي الأمر في نهاية الزمن بظهور مسيحهم الدجال، حيث تنتهي المعركة بين الحق والباطل، بين الحق بقيادة عيسى عليه الصلاة والسلام وبين الباطل بقيادة الأعور الدجال، بين أمة التوحيد والإسلام من جهة وبين اليهود والنصارى أهل الكتاب من جهة أخرى⁽¹⁾.

والإشارة النبوية كما في حديث ابن عمر أن اليهود هم الذين يدعون بقتال المسلمين، ولكن الله عز وجل يسلط المسلمين عليهم ويخيب ما يتمنوه، قال ﷺ: ((تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله))⁽²⁾.

إذن نهايتهم حتمية وقضائية، فلا مهرب لهم ولا مفر من بطش الله الذي سيعمهم ويقطع شأفتهم، وحينها سيندمون ندماً شديداً على طغيانهم وتجبرهم وظلمهم، وكما تدين تدان. وعموم هذه الأحاديث أن لها دلالة واضحة وجليّة بعودة دين الله إلى الحكم وسيادته على العالم من جديد، وإن كان القضاء على اليهود وأتباعهم في آخر الزمان كما أشارت تلك الأحاديث، المهم أنه رد على من يشكك بعودة الإسلام وسيادته على العالم، وأنه انتهى وإلى الأبد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

المطلب العاشر

الإعجاز القرآني دلالة على أن المستقبل لهذا الدين

في هذا المطلب نتناول إعجاز القرآن الكريم كدلالة على أن المستقبل لهذا الدين وأن هذا الدين يجدد نفسه بين الحين والآخر، وأنه سيعود بإذن الله، وأنه سر تقدمنا ونهضتنا، لأنه اختيار من الله لعبادة ليس لحقبة زمنية محددة وإنما إلى قيام الساعة، وأنه يخاطب الفكر والعاطفة في آن واحد، وأنه يمنح المسلم القوة الروحية المستمرة، وأنه ميسر للذكر والفهم، فيفهمه الجميع، وأنه الكلمة السواء التي لا يختلف عليها اثنان، وأنه عبادة متجددة لا تمل، وأنه المنقذ والمخرج من الفتن ما ظهر منها

⁽²⁾ الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي، ص 78.

⁽³⁾ صحيح مسلم: ج 4 - فتن / 81، وسنن الترمذي: ج 4/2236، ومسند أحمد: ج 2 ص 122. فتح الباري: ج 6/2925.

وما بطن، وأنه وسيلة للنجاة ودواء من الأمراض النفسية والجسمانية (1)، فالقرآن الكريم منذ أن أنزله الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ لم يستطع أحد من الناس كائن من يكون أن يحرف فيه ولو آية واحدة أو يبدله، ولا يزال يتحدى الناس جميعاً على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ولكنهم لم يستطيعوا، ولن يستطيعوا، فهو محفوظ من أن تناله أيدي العابثين والحرّفين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (2).

ولو كان هذا القرآن من عند غير الله سبحانه لوجدوا في اختلافاً كثيراً، وإلى هذا يشير القرآن الكريم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ (3).

فقد ذكر الإمام القرطبي (رحمه الله تعالى) أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عشرة (4) وهي:

1. النظم والبديع المخالف لكل معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (5)، وفي صحيح مسلم، ومسند الأمام أحمد وغيرهما (6)، أن أنيساً أخا أبا ذر، قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعراء فلم يلتئم على لسان أحد، وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر، ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله ﷺ ﴿حم﴾ فصلت.

2. الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، رغم فصاحتهم وقوة تعبيرهم.

(1) إنه القرآن سر نهضتنا ص 162.

(2) الأنبياء: 6.

(3) النساء: 82.

(4) يراجع التفصيل: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن - المقدمة (بتصرف واختصار).

(5) يس: 69.

(6) صحيح مسلم: ج 4 ص 1919، مسند أحمد: ج 5 ص 174 رقم الحديث (21565)، ومصنف ابن أبي شيبة:

ج 7 ص 338 رقم الحديث (36598).

3. الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، فكل سورة تتكون من ثلاثة: النظم، والأسلوب، والجزالة، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز.
4. التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع به الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وكل حرف في موضعه.
5. ومنها الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه يمينه.
6. ومنها الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه وينقسم إلى قسمين: أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام وإخراج الذين أخرجوه، وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (1) ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (2).
7. الإخبار بالغيبات في المستقبل التي لا يطَّلَعُ عليها إلا بالوحي كقوله تعالى: ﴿الْم * غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (3).
8. ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام.
9. الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.
10. التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا﴾ (4)

(1) الطلاق: 3.

(2) التغابن: 11.

(3) الروم: 1-5.

(4) النساء: 82.

وستتناول في هذا المطلب بشيء من الاختصار:

1. الإعجاز البياني واللغوي في القرآن.

2. الإعجاز العلمي في القرآن.

3. الإعجاز التاريخي والقصصي في القرآن

أولاً - الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن:

فالقرآن الكريم لا يشابهه شيء من قول البشر، فـ"هو أشرف وأفصح وأصدق كلام عرفته البشرية، ومصدق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقوله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾⁽¹⁾ وما تحدث به بإسهاب أهل البلاغة والاختصاص مشيدين بعظمة هذا الإعجاز.

فقد قال الزرقاني: (بلاغة القرآن الكريم إلى حد فاق كل بيان، وأخرس كل لسان، وأسكت كل معارض ومكابر، وهدم كل مجادل ومهاتر، حتى قام ولا يزال يقوم في فم الدنيا معجزة من الله لحبيبه، وآية من الحق لتأييد رسوله، وبعد كلام الله في إعجازه وبلاغته)⁽²⁾.

فالقرآن سيقى متحدياً لأهل الفصاحة والبلاغة ممن يتكلمون العربية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وهذا التحدي هو قديم قدم تنزل القرآن على النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽³⁾، وقد تحداهم بالإتيان بمثله، أو بعشر سور منه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾⁽⁴⁾، أو بسورة واحدة ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾⁽⁵⁾، بل تحداهم إلى أصغر من ذلك أن يأتوا ولو بآية ولكنهم عجزوا عن ذلك ولم يستطيعوا، فالقرآن العظيم تحداهم لغوياً رغم فصاحة لسانهم ولكنهم لم يقدرُوا على ذلك وخارت عزائمهم وقواهم البلاغية والكلامية.

⁽⁵⁾ النساء: 87، 122.

⁽¹⁾ مناهل العرفان في علوم القرآن: 289/1.

⁽²⁾ الإسراء: 88.

⁽³⁾ هود: 13.

⁽⁴⁾ يونس: 38.

قال الدمشقي: (فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي باللغة العربية) ⁽¹⁾.

فهذا الإعجاز اللغوي والبياني لا يكون من ناحية الحروف والكلمات فحسب، إنما الإعجاز يكون من ناحية التكلم، ومن ناحية النظم والأسلوب والجزالة والمعنى، فلو نظرنا إلى أوائل السور القرآنية فإن الإشارة تكون بالحروف المقطعة، فقد اختلف علماء التفسير في الحكمة من الابتداء بتلك الحروف، وقد يطول الكلام حول تفسيرها ومراد الله منها.

قال الدمشقي (رحمه الله): (وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ⁽²⁾.... وكذلك الباقي، ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتيكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم) ⁽³⁾.

وقال سيد قطب (رحمه الله): (ومثل هذه الحروف يجيء في مقدمة بعض السور القرآنية، وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة، نختار منها: إنها إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه - مع هذا - هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، الكتاب يتحداهم مرة ومرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدي جواباً).

ثم يعرج على أن شأنه شأن كل إعجاز في هذا الوجود، قال: (والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس...) ⁽⁴⁾.

⁽⁵⁾ شرح العقيدة الطحاوية: ج 1 ص 205.

⁽⁶⁾ البقرة: 1-2.

⁽⁷⁾ شرح العقيدة الطحاوية: ج 1 ص 205.

⁽¹⁾ في ظلال القرآن: ج 1 ص 38.

وبما أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، فهو دال على صفة من صفاته، وصفات الله لا يشابهها صفة من صفات البشر **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**⁽¹⁾، لهذا يعجز كل مخلوق أن يصل إلى ما عليه الخالق في قدرته وتصرفه وصفاته.

إذن التحدي باقٍ ما بقي القرآن، وبقاء القرآن يعني بقاء الإسلام، وبقاء الإسلام، يعني بقاء هذه الأمة التي كلفها الله بحمل رايته.

ونقصد بالإعجاز البياني: أي أسلوب العرض الذي كان القرآن يحاكي به أصناف البشر، وطريقة العرض المشوق الخارق الذي يبهر العقول، مما أهر عقول من سمعه من قبائل العرب أيام البعثة، والإعجاز البياني يشمل: النظم، والأسلوب، والجزالة، والتصرف.

وقد تناول الدكتور محمد عبد الله دراز دراسة بعض الخصائص البيانية في القرآن الكريم وجعلها على أربع مراتب⁽²⁾:

الأولى - في قطعة قطعة منه.

الثانية - في سورة سورة منه.

الثالثة - فيما بين بعض السور وبعض.

الرابعة - في القرآن في جملة.

وقد تناول في المرتبة الأولى دراسة القصد في اللفظ، والوفاء بحق المعنى، وخطاب العامة، وخطاب الخاصة، وإقناع العقل، وإمتاع العاطفة، والبيان، والإجمال.

ومن بديع ما أكده من أنه ليس في القرآن كلمة مقحمة ولا حرف زائد زيادة معنوية، وقال بصدد ذلك ما نصه: (دع عنك قول من يقول في بعض الكلمات القرآنية أنها مقحمة، وفي بعض الحروف أنها زائدة زيادة معنوية، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة التأكيد فيرمي بها في كل

(2) الشورى: 11.

(3) ينظر: النبأ العظيم، د محمد عبد الله دراز ص 97 - 125، وقد اختصرها الأستاذ محمد زكي الدين قاسم في كتابه: هذا القرآن فأين المسلمون منه، ص 74.

موطن يظن فيه الزيادة، لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيد أولاً يكون، ولا يبالي أن يكون الموضوع حاجة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به).

أجل دع عنك هذا وذاك، فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل - مستوراً أو مكشوفاً - بدقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن ⁽¹⁾.

ومن الانضباط في سرد الألفاظ وكذلك الأحكام، بحيث لا تتقدم كلمة على أخرى إلا بسبب ولا تتأخر كلمة على أخرى إلا بسبب، وكذلك الأحكام بحيث لا يتقدم حكم على آخر إلا بسبب، ولا يتأخر حكم على حكم إلا بسبب ⁽²⁾، ونضرب لذلك الأمثال:

1. تقدم السمع على البصر: لأن جهاز السمع أرقى وأعقد وأدق وأرهف من جهاز البصر، والعلم يمدنا الآن بألف دليل على تفوق معجزة السمع على معجزة البصر. فقد ذكر الله عز وجل في القرآن أكثر من سبعة عشر موضعاً حول تقدم السمع على البصر كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ ⁽³⁾.

2. تقدم حكم على حكم، كما في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ⁽⁴⁾. لماذا قدم الله عز وجل الزانية على الزاني، لأن الزانية هي التي تفتح بابها، وهي البادئة، وهي التي تتزين وتبرهج وتقيم نفسها. وأما قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ⁽⁵⁾ فالمرأة أقل جرأة من الرجل، وأما أمام هذا العمل ضعيفة ولا تقوى عليه، لذا قدم الله السارق على السارقة.

3. توالي الألفاظ المنتقاة لتتوافق مع التعبير كمعجزة بيانية في ذاتها كما يقول الله تعالى في شأن الرياح: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

⁽⁴⁾ النبأ العظيم ص 97 وما بعدها.

⁽¹⁾ ينظر: القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، ص 249.

⁽²⁾ الإسراء: .

⁽³⁾ النور: 2.

⁽⁴⁾ المائدة: 38.

بِخَازِنٍ⁽¹⁾. فالرياح الباردة تثير سحاباً، فهي تلاقح بين السحب، فيكون برق ورعد ومطر، ويتزل المطر على الأرض فيخصبها فهو تلاقح المطر والأرض أيضاً، وكذلك تحمل الرياح حبوب اللقاح من زهرة لتلقى بها إلى مبيض زهرة أخرى فيكون تلاقح من نوع ثالث.. وهكذا ينبت الزرع.

فكثير من اللفظات البيانية الإعجازية في القرآن لا يصل الإنسان إلى كنهها ومعرفتها إلا إذا اكتشفها العلم، كما نرى اليوم بعد أن كانت مخفية عن الأنظار، والتي لم يستطع الأوائل التوصل إليها، لعدم توافر الوسائل العلمية لديهم في اكتشافها وظهورها.

ثانياً - الإعجاز العلمي:

إن من المعروف لدى القاصي والداني أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وكان في أمة أمية جاهلة ليس لها من فنون العلوم شيء يذكر، ولم يكن لها في الكونيات سعة أفق ومعرفة مسبقة، وأكثر تعاملها ينصب على أشياء ظاهرة بسيطة، ولكن ما كان يتزل من القرآن، وما كان الوحي ينبئهم به على ظواهر علمية ستقع لم تكن لتخطر ببال أحدهم قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁽²⁾، فكانت تحدث أمامهم كفلق الصبح، أو أنهم لم يتوصلوا إلى ما تهدف إليه، فيكونوا أمامه عاجزين، ثم يأتي بعد ذلك جيل يتوصل بمحض وسائله وقدراته المادية إلى الهدف من ذلك: قول الله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾⁽³⁾ فإنه لم يكن في حسابان العرب الأوائل حينما نزلت عليهم هذه الآية ولا بمقدورهم أن يتوصلوا إلى سر هذه الآية، ولكن لما جاء العلم الحديث، وبفضل تطور آلة البحث توصلوا إلى أن البصمات تختلف من شخص إلى آخر، بل إن بصمات اليد الواحدة تختلف من أصبع إلى آخر، واستفاد من هذا البحث الباحثون في مجال القانون وغيره إلى ما يتم به إلى كشف كثير من الجرائم الغامضة.

(5) الحجر: 22.

(6) فصلت: 53.

(1) القيامة: 4.

ولعل شهادة بعض الغربيين بدور الإسلام والعرب في بناء الحضارات ما يجعل القلب مطمئناً إلى أن الإسلام هو الحل الوحيد لانتشال العالم من مغبة الانهيار والسقوط، وأنه سيعود رغم مكائد الأعداء، بل وإن كثيراً من الغربيين يعترفون بدور الإسلام العلمي والحضاري في بناء الحضارات ولكنهم يخشونه أشد الخشية ويحذرون أشد الحذر من مقدمه، ومن أقوالهم:

- قال المستشرق الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون: (كان تأثير العرب في الغرب عظيماً، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا، وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية، والأدبية، والأخلاقية عظيماً، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر الميلادي يوم كانت المدينة الإسلامية زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين، يفاخرون بأنهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، وكانت الطبقة العالية المستنيرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة، يقضون الوقت بالتكسب في ديرهم بنسخ كتب القدماء، وليبتاعوا ورق البردي اللازم لنسخ كتب العبادة، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً بالحاجة إلى نفوذ كفن الجهل الثقيل الذي كان الناس ينوءون تحته، طرقت أبواب العرب يستهدوهم ما يحتاجون إليه، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد⁽¹⁾.

- وقال أحد المستشرقين والمبشرين الغرب: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً)⁽²⁾.

- وقال أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952: (إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا قديماً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي.. فلنعت هذا العالم ما يشاء، ولنقتل في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحور

(2) روائع إسلامية: ج2 ص31.

(3) المصدر السابق: ج2 ص52.

العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم⁽¹⁾.

- وقال البروفيسور مارشال جونسون: (القرآن أول مصدر يذكر أطوار الجنين، ويصف المظهر الخارجي والعمليات الداخلية، وإن التطورات والأحداث التي تكلم عنها القرآن خلال مرحلة النطفة يستحيل كشفها من دون استخدام المجاهر الالكترونية الحديثة)⁽²⁾.
- وقال الدكتور مايكل هارت: (لا يوجد في التاريخ واحدة من الرسائل نقلت عن رجل واحد وظلت باقية بحروفها كاملة من دون تحوير كل هذا الزمان سوى القرآن، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة والإنجيل، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا برسالات عظيمة ثم ماتوا من دون إتمامها ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت أحكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته وأقام إلى جانب الدين دولة جديدة)⁽³⁾.

ونتيجة لكثير من الاكتشافات التي ظهرت وكان القرآن الكريم قد أشار إليها كانت سبباً في إسلام كثير من الأوروبيين نذكر منهم⁽⁴⁾:

1. الدكتور المجري جرمانوس / خبير باللغات العربية والفارسية والتركية.
2. البروفيسور البريطاني جورج س. نيلسون / أستاذ علم الطفيليات.
3. البروفيسور آرثر أليسون / رئيس قسم الهندسة الكهربائية في جامعة سيتي البريطانية.
4. البروفيسور كيث ل. مور / أستاذ علم التشريح وبيولوجيا الخلية في جامعة تورنتو (كندا).
5. الدكتور مايكل هارت / المسؤول العلمي الأسبق في علم الفضاء في ميرلاند.
6. البروفيسور مارشال جونسون / رئيس قسم التشريح بكلية جيفرسون في فلاديفيا.

(4) المصدر السابق: ج2 ص85.

(1) كتاب سراج التائبين ودوحة المحبين لمؤلفة أحمد الحاج، مطبعة أنوار دجلة، 2010 م، ص 55.

(2) المصدر نفسه ص 57.

(3) لمزيد من معرفة من أسلم من الغربيين، يراجع كتاب سراج التائبين ودوحة المحبين.

7. البروفيسور ج. س. جورنجر / أستاذ علم الأجنة بجامعة جورج تاون.
 8. الأسقف السيرلانكي ايفور ايليوس / متخصص بالتنصير، تدرج في المناصب الكنسية.
 9. الدكتور الفرنسي موريس بوكاي.
 10. البروفيسور ويليام براون.
 11. البروفيسور جولي سامسون / أستاذ علم النساء والولادة في جامعة ويسترن.
 12. الطبيب الألماني جي ميشيل / أستاذ علم الأجنة.
 13. البروفيسور تاجانات تاجسون / رئيس قسم التشريح وعلم الأجنة في جامعة شاينج ماي في تايلند.
 14. البروفيسور بالمر / من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم.
 15. البروفيسور دافيد بنيامين / قس كلداني.
- وآخرون..... كثير.

والقرآن الكريم لا زال يتحدى الناس أجمعين على أن يخلقوا ذبابة، ولكنهم لن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾⁽¹⁾.

يقول الأستاذ مصطفى محمود: (وهو مثل ما زال معجزاً للعلم والعلماء بعد ألف سنة من تطور العلم والتكنولوجيا، فمن يستطيع أن يخلق ذبابة على هوائها وتفاهتها؟ وإذا سلبتك الذبابة حياتك بمرض تنقله إليك فمن يستطيع أن يرد لك تلك الحياة، بل إنها لو سلبتك ذرة من النشا من طعامك.. فإن عباقة الكيمياء لو اجتمعوا لا يستطيعون استرداد هذه الذرة من أمعائها، لأنها تتحول فوراً إلى سكر بفعل الخمائر الهاضمة، فما أضعف الطالب والمطلوب، ما أضعف

(1) الحج: 73.

عبقري الكيمياء، وما أهون الذبابة، وما أتفه ذرة من النشا في عالم هائل بلا حدود.. بل عوالم وأفلاك مترامية خلقها الخالق الذي أحاط بكل شيء علماً⁽¹⁾.

والروح هي الأخرى أمر تعجيزي لكل الناس، فقد تحداهم الله عز وجل من أن يدركوا كنهها، ومن أي شيء تتكون ولكنهم عجزوا ولم يستطيعوا إدراكها، بل وجب على الجميع أن يسلموا تسليمًا مطلقاً ويقولوا: قل الروح من أمر ربي وما أوتينا من العلم إلا قليلاً، هذا هو الأسلم، وهذا هو الأفضل... قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁾.

قال مصطفى محمود: (والروح في الفلسفة لغز... وهي أمر لا يمكن إثباته بالشواهد والأدلة الحسية على وجه القطع، ولا يمكن إنكاره إلا تعسفًا، ولا يمكن تجاوزه إلا جهلاً، وهي تبقى بعد ذلك قضية القضايا التي يقف أمامها علمنا المحدود مكتوف الأيدي)⁽³⁾.

ثالثاً - الإعجاز التاريخي:

إن خير من جاء بالبيان والعرض التاريخي والقصصي هو القرآن الكريم، بل عده العلماء إعجازاً من معجزات القرآن في عرض الوقائع التاريخية والقصصية.

وإن هذا الجانب من الإعجاز يمثل دليلاً قاطعاً على صدق نبوة النبي ﷺ وأن هذا القرآن من كلام الله تعالى وليس من كلام غيره، وأن هذه الوقائع تدل دلالة لا غبار عليها أن هذا الدين سيعود وسيظهر مرة أخرى كما ظهر، وستكون له صولة وجولة كما كان، وأن الله بالغ أمره.

قال محمد زكي الدين: (ولقد كانت دلالات القرآن الكريم التاريخية من أقوى الأدلة الصاعدة لجميع الناس، خاصة، وأنه قد جاء به رجل أُمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم تكن له دراية بتاريخ الأمم أو تمرس بالرحلة في طلب المعرفة، وكثيراً ما كان القرآن الكريم يلفت النظر إلى ما في آياته من دلالة تاريخية معجزة)⁽⁴⁾.

(2) القرآن محاولة لفهم عصري ص 243.

(3) الإسراء: 85.

(4) القرآن محاولة لفهم عصري ص 245.

(5) هذا القرآن فأين منه المسلمون ص 75.

فالشواهد التاريخية في القرآن تؤكد لنا مجموعة من الأمور يمكن تلخيصها بما يأتي⁽¹⁾:

1. دقة رواية القرآن الكريم للأحداث وصدق دلالتها عليها، ودقة تصوير المواقف تصويراً يؤكد المشاهدة والمعاينة.

2. تعتبر رواية القرآن الكريم غير مقلدة لما روي في الكتب السماوية الأخرى، إنما جاءت مصححة للأخبار، محققة للأحداث، كاشفة للمواقف، بما لا يتيسر مثله إلا لمن عاش هذه الأحداث أو خالط البيئة التي حدثت فيها على الأقل.

3. وميزة أخرى في أخبار القرآن الكريم وهي أنه لم يقتصر على رواية الناس وإنما تعداها إلى الإخبار عن المستقبل القريب أو البعيد بما كشف الزمن عن بعضها ولا تزال تكشف الأيام عن بعضها وهكذا حتى نهاية الزمن والحياة.. بل تتعدى أخبار القرآن الزمن المحدد بالدنيا والحياة المادية التي نحيها إلى ما بعد ذلك من الحياة الأخرى على ما اختصت به من الدوام والاستمرار الأبدي.

وحصر الدكتور محمد عبد الله دراز هذا الإعجاز في ثلاثة أنواع⁽²⁾:

الأول - ما يتعلق بمستقبل الإسلام في نفسه أو في شخص كتابه ونبيه. واستشهد بقول الله تعالى: **﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾**⁽³⁾، وقوله سبحانه: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**⁽⁴⁾، ويستعرض ما توحى به الآيات من ظهور الدعوة وبلوغ الرسالة، وحفظ القرآن الكريم من كل عوامل الضياع والنسيان أو الاختلاف أو التحريف وغيرها، وأنها من سوره المكية، وأن العهد المكي قد غصت سنواته العشر بالإعراض عن النبي ﷺ والصد عن الإصغاء له والاضطهاد والتعذيب لأصحابه والمقاطعة له ولعشيرته، والمؤامرات السرية والعلنية على قتله أو نفيه.

(1) المصدر نفسه ص 77.

(2) ينظر: النبأ العظيم ص 97 إلى 125 بتصرف.

(3) الرعد: 17.

(4) الحجر: 9.

فلا بد إذن من كفيل بهذا الحفظ من خارج نفسه... من ذا الذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت إلا ربُّ الدهر الذي بيده زمام الحوادث.

ثم يقول: (لنسأل التاريخ كم مرة تنكر الدهر لدول الإسلام؟ وتسلبت الفجار على المسلمين؟ فأنحنوا فيهم القتل.... وأحرقوا الكتب، وهدموا المساجد.. لولا أن يد العناية تحرسه فبقى وسط هذه المعامع رافعاً راياته وأعلامه، حافظاً آياته وأحكامه).

الثاني - فيما يتعلق بحزب الله عز وجل: وهم أهل القرآن والعاملون بسنته الصحيحة، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، يحملون راية الإسلام ويدودون عنها بأنفسهم وأموالهم، كما كان عليه سلف هذه الأمة، هؤلاء هم يحفظ الله عز وجل دينه، وتبقى رايته خفاقة عالية على كر الدهور ومر العصور. وتاريخ الإسلام شاهد على ما نقول.

الثالث - يتعلق بحزب الشيطان: هؤلاء هم العقبة الكئود أمام حزب الله، فهم الموتورون الذين يعملون لمصلحة أعداء الإسلام، والمخذلون لكل نهضة إسلامية وحركة تصحيحية، تريد أن تعيد بالمسلمين إلى مجدهم. فهم حجر عثرة أمام كل عمل شريف يخدم الإسلام وأهله.

وبهذا نخلص أن بقاء القرآن إلى يوم القيامة، وما فيه من الإعجاز بأنواعه الثلاثة لدليل ساطع على أن الدين سيعود عودة لا شك فيها وسيحكم المسلمون مجدداً كما حكموا من قبل بإذنه تعالى.

المطلب الحادي عشر

الجهاد والحج ماضيان إلى يوم القيامة كدليل على عودة الإسلام

وتجده

أولاً - الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة:

لقد حث الإسلام المسلمين على جهاد الكفار لرفع راية الإسلام، ودفعهم عن بلادهم، وبكل ما أوتوا من قوة وشدة، لأن حفظ بيضة الإسلام من أن يتسلط عليها الأعداء من أكد الواجبات

التي تقع عليهم، ومن هنا كان الجهاد ضرورة لازمة على كل مسلم، ولذلك اعتبره الإسلام فريضة ماضية إلى يوم القيامة، ورغب فيه واعتمد عليه وجعله ذروة سنام الإسلام، وأعد للمجاهدين ولمن يقتل في سبيل الله أعلى المنازل وأشرف الدرجات والمراتب، وبدونه لا تقوم للدين قائمة، وسيتحكم أهل الباطل والكفر بمقدراتهم كما عليه اليوم، ويتعطل دين الله، فتضيع الحياة التي أرادها الله لهم، وتسير في غير الطريق المطلوب، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: ((الخیل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم))⁽¹⁾، فهذا الحديث النبوي يدل دلالة ساطعة على أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة.

والحقيقة واضحة يعرفها المسلمون على أن الإسلام وعلى مر التاريخ كان وراء كل الحركات التاريخية والثورات الشعبية التي قامت بها الشعوب الإسلامية في مختلف أقطارها لإثبات وجودها وحققها وطرده المحتل الغاصب لأرضها، والمطالبة بإرجاع حقوقها المسلوبة، وتقويم أوضاعها المقلوبة ورفع الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي عن كامل أبنائها.

والجهاد يحتاج إلى أسبابه من قيادة وعدة وعتاد لكي ينعقد لوائه، والخير الذي تجلبه تلك الخيول لدليل على عودة الإسلام وسيادته مجدداً بإذنه تعالى.

ولعل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأمر بقتال الأعداء عند الإغارة على ديار المسلمين ورفع راية التوحيد الكثير من الآيات، والنصوص النبوية. أما الآيات القرآنية فنذكر منها: قال تعالى:

1. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾.
2. ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽³⁾.
3. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر، رقم الحديث 2852 ص 525.

⁽¹⁾ التوبة: 36.

⁽²⁾ التوبة: 41.

⁽³⁾ العنكبوت: 69.

4. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1).

وأما الأحاديث النبوية فنذكر منها:

1. عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أئذن لي في السياحة، فقال النبي ﷺ: ((إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (2).
2. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)) (3).
3. وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ((وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ)) (4).
4. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ)) (5).
5. وسئل رسول الله ﷺ عن أي الجهاد في سبيل الله أفضل.. قال: ((مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (1)، فالغرض الأول من القتال في الإسلام هو رفع كلمة

(4) التوبة: 111.

(5) رواه أبو داود برقم (2486)، وصححه الحاكم: 73/2 وأقره الذهبي، وفي الباب عن سعد بن مسعود الكندي عند ابن المبارك، فالحديث صحيح. ومعنى السياحة: مفارقة الوطن والذهاب في الأرض، وأصلحه من السيح وهو الماء الجاري مبسطاً على وجه الأرض، كأنه استأذن في الذهاب في الأرض قهراً لنفسه بمفارقة المألوفات وهجر المباحات واللذات، فرد عليه ذلك لما جاء فيه من ترك الجمعة والجماعات. ينظر: رياض الصالحين، الهامش ص 401.

(6) رواه أبو داود برقم (2504)، وأخرجه أحمد: 124/3 و 153، والنسائي: 7/6 وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان برقم (1618) والحاكم: 81/2 ووافقه الذهبي.

(7) رواه مسلم برقم (1917).

(8) سنن الترمذي برقم (1639) قال الشيخ الألباني: صحيح.

الله في الأرض سواء أكان القتال في حالة الهجوم على الأعداء أم الدفاع عن بيضة الإسلام..

6. وعن أبي قبيل قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية، فقال النبي ﷺ: ((لا بل مدينة هرقل أولاً)) (2) (القسطنطينية).

ورومية: هي (روما) كما في (معجم البلدان)، وهي عاصمة إيطاليا اليوم. وقد تحقق الفتح الأول على يد المجاهد البطل محمد الفاتح العثماني (رحمه الله)، وذلك بعد أكثر من (800) سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح وسيتحقق الفتح الثاني وهو فتح روما بإذن الله تبارك وتعالى، وهذا يتطلب تهيئة تامة ولا يتم ذلك إلا في ظل قيادة إسلامية حكيمة.

7. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سئلت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) قلت: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)) (3).

8. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)) (4).

9. ووصف رسول الله ﷺ الجهاد في سبيل الله بأنه ((ذروة سنام الإسلام)) (5).

(1) صحيح البخاري برقم (15)، (123)، (2655)، (2958)، (7020)، صحيح مسلم برقم (42)، (150) - (1904)، صحيح ابن حبان برقم (4636).

(2) سنن الدارمي - باب من رخص في كتابة العلم برقم (486)، 137/1، قال حسين سليم أسد: إسناده قوي.

(3) رواه البخاري رقم الحديث (7/2، 8)، ومسلم برقم (85).

(4) رواه البخاري رقم الحديث (70/1، 72)، ومسلم برقم (19).

(5) أخرجه أحمد في مسنده 35/36 برقم (22016)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة:

12-11/5 برقم (2616)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كفن اللسان في الفتنة: 1314/2، 1315 برقم (3973) وإسناده صحيح.

واليوم فقد ديست أرض الإسلام من قبل أعدائه، وعاثوا فيها فساداً وقتلاً وذلاً وتهجيراً، لهذا كله تَطَلَّب من أهل الإسلام أن يجاهدوهم بكل ما أوتوا من قوة وبسالة، ولما سئل النبي ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: ((مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)) (1).

فراية الجهاد يجب أن تكون في سبيل الله، لأجل عودة الدين، وأما دون ذلك من الرايات فهي رايات جاهلية، لا يعد الجهاد تحتها شرعياً، ولا يعد المقتول في سبيلها شهيداً، قال رسول الله ﷺ: ((من قاتل تحت راية عَمِيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلته جاهلية)) (2).

متى يكون القتال جهاداً في سبيل الله؟:

إن أي قتال إذا لم ينصرف إلى إعلاء كلمة الله فهو قتال جاهلي وفي غير سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَاتِل لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (3).

قال ابن حجر: (المراد بكلمة الله: دعوة الله إلى الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط) (4).

وفي حديث آخر قال ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا جِهَاداً فِي سَبِيلِي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصَدِيقاً بِرَسُولِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)) (5).

شروط الجهاد في سبيل الله:

(6) رواه البخاري برقم (2786)، ومسلم برقم (1888).

(7) رواه مسلم برقم (1848).

(1) رواه البخاري برقم (123)، (2810)، ومسلم برقم (1904).

(2) ينظر: فتح الباري: 28/6.

(3) رواه البخاري برقم (31)، ومسلم برقم (1876) واللفظ لمسلم.

1. الإخلاص ؛ وذلك بأن يبتغي المسلم به وجه الله عز وجل، ولا يبتغي من ورائه سمعة ورياءً وجاهاً ومغناً وعرضاً دنيوياً، فأى قتال لا يكون في سبيل الله فهو في سبيل الطاغوت، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾⁽¹⁾. ويقتضي أن يكون الجهاد من أجل الله وحده لا شريك له، لا من أجل الناس، فقد جاء في حديث النبي ﷺ: ((إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه ثلاثة))، وذكر منهم: ((رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار))⁽²⁾، فهذا الحديث يدل على خطر فقدان الإخلاص في الجهاد مما قد يحبطه.

2. أن يتبع المجاهد هدي النبي ﷺ ولا يخالفه في الجهاد، فالإلتزام في الجهاد من أكد شروط تحقيق النصر، كما هو واجب في غيره، لأنه من الشريعة، فقد كان رسول الله ﷺ يوصي سراياه عندما يخرجون للجهاد فيقول: ((اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا))⁽³⁾. قال ابن القيم (رحمه الله): (العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه)⁽⁴⁾.

3. أن يُعد المجاهد العدة الكاملة للقتال، والتهيؤ التام لخوض المعركة لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾⁽⁵⁾.

أهداف الجهاد في سبيل الله⁽⁶⁾:

(4) النساء: 76.

(5) رواه مسلم برقم (1905) واللفظ له، والترمذي: 591/4 - 592 برقم (2382)، والنسائي: 284/7.

(6) رواه مسلم برقم (1731).

(7) انظر: الفوائد ص 67.

(1) الأنفال: 60.

(2) الطائفة المنصورة ص 26.

1. إعلاء كلمة الله وحفظ الدين.
2. حفظ نفوس المسلمين ودمائهم وأعراضهم.
3. كسر شوكة الكفار ثأراً لله عز وجل.
4. حفظ سلطان الإسلام وكيانه ووجوده.
5. رفع الظلم الواقع على المسلمين من الكفار أو المشركين أو المنافقين.
6. تمكين الدعوة من المضي في طريقها.
7. الشهادة في سبيل الله، والشهيد في أعلى المنازل عند الله عز وجل لوفرة الأدلة على ذلك، وقد ذكرنا بعضها.
8. قمع النفاق إذا استعلی وظهر.

أنواع الجهاد:

بما أن الجهاد معناه الاصطلاحي: هو بذل الجهد الاستثنائي في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي الذي أراده الله عز وجل للبشرية جمعاء، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تكون السيادة لشريعته سبحانه ومهيمنة على جميع الشرائع الأخرى، لذا يقسم العلماء الجهاد إلى أقسام وأنواع نذكر منها:

- 1- الجهاد بالتعليم، ونشر الوعي الإسلامي، ورد الشبه الفكرية التي تعترض سبيل الإيمان.
- 2- الجهاد ببذل المال لتأمين ما يحتاج إليه المسلمون في إقامة دولتهم الإسلامية كما كانت عليه بالصدر الأول.
- 3- الجهاد الدفاعي في حالة تعرض بلاد المسلمين لأي هجمة من أعدائه للنيل من بيضة الإسلام والمسلمين.
- 4- الجهاد الهجومي، وهو الذي يبدؤه المسلمون عندما يتجهون بالدعوة لنشر الإسلام في العالم.
- 5- الجهاد في حالة النفير العام ومعناه: عندما يقتحم أعداء الإسلام ديار المسلمين معتدين بذلك على دينهم وأرضهم وحرية اعتقادهم.

شواهد تاريخية عن جهاد المسلمين في العصر الحديث (1):

1. **الحروب الصليبية على مصر:** عندما دخل نابليون مصر معتدياً ظالماً محارباً مغتصباً بأسلحته الفتاكة وجيشه المنظم، وكان الحكام سادرين بغيهم لاهين مع لياليهم غافلين عن هذه الحروب، فلم يتزل إلى ميدان المعركة إلا كبار علماء الأزهر الشريف، فقد نفخوا في الأمة روح الجهاد والكفاح، وأشعلوا في صدرها حب الموت في سبيل الله، وأخرجوا الحكام من جحورهم وأجبروهم على خوض المعارك، والتقدم نحو العدو، فكان قتال المصريين ضد الصليبيين قتال الصحابة الأبرار، وقاوموا على قلة عددهم وضعف تنظيمهم، مقاومة لا هودة فيها، فاستشهد الكثير منهم، وبقيت القلة الباقية تقاتلهم حتى استطاع الأعداء من إلقاء القبض على كبار علماء الأزهر وهم عشرات فشنقوهم أمام الأزهر في الواقعة المعروفة التي أدمت قلوب المصريين وهزت أركان العالم الإسلامي، والتي كانت سبباً في جلاء الصليبيين من مصر.
2. **ثورة المصريين:** على الإنجليز سنة 1919م، وحركة الفدائيين في القتال سنة 1950-1952 فكان الأزهر والمساجد منطلقها والعلماء خطبائها والشباب وقودها، فهذه الثورات كلفت الأعداء الخسائر تلو الخسائر، ولم يحصلوا من ذلك إلا الخسران والبوار.
3. **ثورات السودان:** فجميع تلك الثورات قامت ضد الإنجليز، ومن أشهرها ثورة المهدي المشهورة في نهاية القرن التاسع عشر، والتي أعلن فيها الجهاد الشامل بين السودانيين، فقاتلوا المستعمر المحتل في حوادث معروفة ووقائع مشهودة.
4. **ثورات ليبيا:** وأما الثورات الإسلامية في ليبيا، فلعل أشهرها ثورة السنوسيين وعلمائهم وأهل الله فيهم مشهودة مذكورة، توجتها ثورة المجاهد البطل عمر المختار التي كانت ثورة قرآنية خالصة، حركت في الأمة روح الجهاد والكفاح والنضال، وكانت السبب الأكبر في جلاء الاستعمار الإيطالي الفاشي في ليبيا.

(3) ينظر: كتاب حركة الإسلام ومفكرو الغرب: من ص 1 وحتى ص 11 (بتصرف).

5. **ثورات تونس:** وأما في تونس، فتاريخها حافل في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ودور الحركات الإسلامية في طرد المحتل الغاشم.

6. **ثورات الجزائر:** فتورة الأمير عبد القادر الجزائري شاهد حاضر يذكره المؤرخون كلما ذكرت معارك الإسلام، يوم أن رفع القرآن بيده، وأعلن الجهاد وقاد الجيوش وضرب المستعمرين الفرنسيين ضربات ساحقة ماحقة، وكانت تلك المعارك على قاب قوسين من النصر النهائي لولا خيانة الإقطاعيين وأرباب المصالح من طلاب الدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأما حركة التحرير الجزائرية الحديثة التي قادها الإمام المجاهد عبد الحميد بن باديس شاهد آخر على جهاد المسلمين المستمر، هذا المجاهد البطل نفخ في الجزائريين روح الجهاد، حيث أنشأ في سبيل المحافظة على إسلامها وعروبته المدارس والمعاهد والمنتديات، وبث تلاميذه المئات في كل مدينة وقرية، يدعون الناس إلى الثورة، ومقاومة المحتل، ومن شعارات الثورة: الإسلام ديننا، والجزائر وطننا، والعربية لغتنا. وبعد موته بسنوات أعلن تلاميذه وأتباعه والمتأثرون بأفكاره الثورة الجزائرية المسلحة الكبرى التي كانت سبباً في استقلال الجزائر، فاتخذوا من 16 نيسان من كل سنة - وهو يوم ذكرى وفاته 1940م - يوم للعلم تمجيداً لأعماله الجليلة وجهاده الرائد وعلمه الثر وعمله العظيم في قيادة الشعب الجزائري. يقول ابن باديس (رحمه الله): (نهضتنا نهضة بنيت على الدين أركانها، فكانت سلاماً على البشرية، لا يخشاها - والله - النصراني لنصرانيته - ولا اليهودي ليهوديته، ولا المجوسي لجوسيته، ولكن يجب - والله - أن يخشاها الظالم لظلمه، والدجال لدجله، والخائن لخيانته).

7. **الثورات الإسلامية في شمال أفريقيا:** لقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء دور حركات الجهاد الإسلامي في رفض الاستعمار، فقد قال (روجيه غارودي الفيلسوف الماركسي الفرنسي): (إن الإسلام لا يشبه أي دين آخر في طبيعته، فهو دين الحركة والكفاح والثورة، وهو الدين الذي دفع المسلمين قاطبة لرفض الاستعمار والاستغلال، وهو

دين لا يهادن الظلم والظالمين)، وأضاف: (أن الإسلام لم يكن أداة بيد الطبقة المستغلة على مدار التاريخ، وإنما كان دائماً بجانب المظلومين والمستغلين).

8. ثورات الشرق الإسلامي: ففي الهند، فيكفينا أن نذكر الثورة الإسلامية الكبرى عام (1857م) في دلهي وكثير من مقاطعاتها ضد الإنجليز حيث قاتل الشعب الهندي قتالاً مريراً ضد المحتل، ولولا خيانة مهرجات الهنادكة وكثير من الإقطاعيين وأرباب المصالح الدنيوية لاستطاع المسلمون أن يطردوا المحتلين الإنجليز، ولكن ثورتهم قد أصابها الخسران ودخل المحتلون دلهي وارتكبوا فيها المجازر الدموية والفضائح الكثيرة، فقد نفذوا حكم الإعدام بثلاثين ألف شاب مسلم. وتعتبر هذه الثورات الحجر الأساس في طرد المحتل الإنجليزي من الهند تماماً.

9. ثورات تركيا: ولما احتل اليونانيون غرب تركيا، وأراد مصطفى كمال أتاتورك أن يحاربهم بإيعاز سري من السلطان السجين المسلم لدى الإنجليز في اسطنبول محمد رشاد، الذي كان يرفع القرآن الكريم بيده في المدن والقرى، ويدعو الناس إلى الجهاد باسمه ضد المحتل، فزحف الناس وراء القرآن صفّاً واحداً فسحقوا اليونانيين في معارك معروفة، ثم لما استولى له الأمر باسم الإسلام قلب هذا الظالم كمال أتاتورك له ظهر الجن وحاربه وأهله حرباً ضروساً لا رحمة فيها وخضع خضوع الدليل للشروط السرية في معاهدة (لوزان) التي فرضها العدو الغربي، فألغى الخلافة وخطط للقضاء على مختلف مظاهر الإسلام في تركيا وأعلن اللادينية، ولما ثار المسلمون عليه ثورات معروفة، عاملهم بالحديد والنار وقاد الأتوف من العلماء والفضلاء والأتقياء إلى ساحات الموت الجماعي.

10. أما الثورات في العراق فهي كثيرة، نذكر منها ثورة العشرين، حيث كان للعلماء دور فيها، فقد دعوا المسلمين إلى قتال المحتلين البريطانيين، ولعل ثورات الشيخ محمود في العشرينات في شمال العراق ضد الإنجليز الذي دعا العراقيين إلى جهادهم وإخراجهم من البلاد.

ثانياً - الحج ماضٍ إلى يوم القيامة:

فمن البديهيات المقطوع بها، ومن الفرائض المؤكدة المعلومة من الدين بالضرورة هي فريضة الحج، فهي فريضة ماضية إلى يوم القيامة كالجهد، فالصادق المصدق ﷺ هو الذي أخبرنا بذلك في الحديث المتقدم.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن الحج لم يتوقف منذ فرضه الله عز وجل على هذه الأمة وإلى يومنا هذا، فآلاف المسلمين بل الملايين يحجون إلى البيت العتيق لأداء هذه الفريضة كل عام رغم طغيان الطغاة، وتسلط الأعداء، وكيد الكائدين، والمحاولات الكثيرة لأعداء الإسلام بمنعه، أو تحديد النسبة السنوية لأعداد الحجاج، ورغم ذلك كله فالحج ماض إلى يوم القيامة.

فالحج يستوجب أن يتجمع عدد كبير من المسلمين على صعيد واحد وبصوت واحد وإرادة واحدة، وتجمعهم هذا يكون على جبل الرحمة في عرفة في يوم واحد، فهو اجتماع كبير قل نظيره في أمة من الأمم، ولعل المقولة التي أطلقها الملك فيصل (رحمه الله) أحد ملوك المملكة العربية السعودية لقادة الغرب قال: (إنني قادر في موسم من مواسم الحج أن أحرر فلسطين من كيد اليهود)، فهذه الكلمة الشهيرة حسبت عليه، وقيل إنها السبب في وفاته مسموماً.

ثم إن الغرب يعرفون معرفة تامة أن هناك سبيلين في الأمة الإسلامية هما السببان في بقائها على قوتها وعنفوانها وهما القرآن والحج، لهذا يسعون جاهدين وبكل ما أوتوا من قوة حول صد المسلمين عن هذين السبيلين، والمتصفح لسير أهل الظلال يجد ذلك.

المطلب الثالث عشر

صحوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ودخول الكثير من غير

المسلمين في الإسلام دليل على عودة الإسلام

إن الصحوة الإسلامية التي تعم العالم اليوم، ودخول أعداد كبيرة من الناس إلى هذا الدين بعد قناعة تامة، ولاسيما العقلاء والمفكرون، وتحافتهم على الإسلام، لدليل صارخ على عودة الإسلام الحتمية، وقلما يدخل يوم ويخرج إلا ويدخل دين الإسلام العشرات بل المئات ممن يعتنقون الديانات

الأخرى، وإن نسبة الداخلين تزداد يوماً بعد يوم – وهذا من فضل الله وكرمه – لأن الناس جربوا جميع الأديان والدعوات والأفكار، ولم يجدوا إلا الإسلام دين سعادة وإنقاذ ونصر وخلاص من الشعوذة واللاعقلانية.

نعم لقد جرب المسلمون في البلاد الإسلامية الأفكار التي جاءتهم يمنة ويسرة، وربما جاهدوا من أجلها وبذلوا الغالي والنفيس، وقد مات البعض منهم من أجلها، وكل مؤسسيها هم من أعداء الإسلام، ليس غرضهم هو إنقاذ البلاد من هيمنة المستعمر، إنما الغرض هو صدهم عن منهج الله في الأرض وعن الإسلام، وقد اعترف الكثير ممن كانوا ينتمون إليها بأنها أفكار هدم وتخريب وتعطيل وصد عن دين الله عز وجل، وكل من تتبع مناهجهم وقواعدهم وأصولهم وتمحّص في مقتضاها وما تدعو إليه، أدرك بعقله وحصافته أنها سموم وآفات تريد هذا الدين لهدمه، ولكن الله لهم بالمرصاد، وأن الله بالغ أمره قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾، وأين هي هذه الأفكار اليوم والتي قامت عليها دول وأركان؟، وأين هم أتباعها؟، إنها في مزبلة التاريخ، ويبقى دين الله هو المهيمن والمسيطر.

قال الشيخ إبراهيم النعمة: (أما الغزو الفكري، فكان له أكبر الأثر في إبعاد المسلمين عن دينهم، متمثلاً بذلك المنهاج الغربي الذي حمل بين جوانحه الحقد الأسود والبغض الأنكد على ديننا وتاريخنا ولغتنا بأساليب، وطرائق جذابة، ومناهج خداعة وتركت شبابنا ومثقفينا صرعى المكر والغدر، فظهرت النظريات العلمانية التي أخذت من شبابنا كل مأخذ، وظهرت (نظرية دارون) التي صار لها (هيل وهيلمان) فترة ليست بالقصيرة من الزمن في العالم الإسلامي.. كما ظهرت الشيوعية التي خدع ببريقها الزائف أعداد كثيرة في العالم الإسلامي... ومع هذا كله، فقد كان للحركات التبشيرية بل التنصيرية نشاط واسع في العالم الإسلامي، وبخاصة بعد أن دخل المستعمرون البلاد الإسلامية وهيمنوا فيها على وسائل التربية والتعليم والإعلام، فوضعوا لأبناء المسلمين منهاجاً ينظر إلى العالم الغربي نظرة تبجيل وتعظيم، في الوقت الذي ينظر إلى

(1) الأنبياء:.

الإسلام نظرة استهجان معتقداً أنه كان السبب في ذلك التخلف الذي اصطلى بناره الناس كلهم⁽¹⁾.

إذن هي مجموعة مؤامرات وتحديات تترى على الفكر المسلم تريد أن تقلعه من جذوره، يقوم بها دهاقنة الفكر اليهودي والصليبي ومن حالقهم، ولكن البشائر تلوح في الأفق القريب وليس البعيد بنصرة هذا الدين، والعودة قادمة بإذن الله كما نرى اليوم في كل قطر من أقطار المسلمين من انتفاضات شعبية عارمة لتغيير النظم السياسية العميلة.

أنواع التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم وهي إلى الاضمحلال:

1- التحدي الأخلاقي: وذلك بيث الفساد والانحراف الخلقي بين شابات وشباب المسلمين، ولاسيما الدعارة والزنا، وأكثر دعايتهم تركزت على المرأة، وذلك بإخراجها من عفقتها وطهارتها، وأشاعوا بين الفتيات أن الحجاب الإسلامي تخلف وتردي، وأن على المرأة أن تتحرر من هذا القيد، فاستجابت لدعايتهم عقول كثير من النساء، وتحقق لهم ذلك، ولكنها بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً إلى أصبح عدد المحجبات اليوم أكثر بكثير من السافرات، والناظر بعينه يرى ذلك ملياً.

يقول الشيخ إبراهيم النعمة: (لقد انحرف المجتمع المعاصر بالمرأة انحرافاً مخيفاً، واتخذ من زيها سلاحاً خطيراً يعصف بالأخلاق، وذلك بنشر الأزياء الفاضحة التي تظهر فيها المرأة عارية أو شبه عارية، هذا اللون من الأزياء ينحرف بالغريزة، ويدمر القيم، ويؤدي إلى كوارث كثيرة، فقد أدى إلى كثرة الجرائم، وشيوع فاحشة الزنا، وضعف الروابط الأسرية، بل تخطيطها وانعدام الثقة بين أفرادها وانتشار الطلاق لأنفقه الأسباب... كما يؤدي تبرج المرأة قبل هذا وبعده إلى الإساءة إلى المرأة نفسها، إذ صارت وسيلة من وسائل المتاجرة بها فقد أعلن الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية (نيكسون) أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار عام 1972)⁽²⁾.

(1) العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد، خالد سليمان، مقدمة الشيخ إبراهيم النعمة ص 2.

(2) المؤامرة على المرأة المسلمة، فتياتنا بين الحجاب والسفور - إبراهيم النعمة، ص 30، وكتاب الإسلام أولاً - عبد الحليم عويس ص 57 - دار الاعتصام - القاهرة - 1976.

ثم طَبَّل لها العملاء تحت شعار (تحرير المرأة)، بل إن كثير من الحكومات العربية أعلنت حربها على المرأة المحجبة ولاسيما الطالبات والموظفات الحكوميات، وأمرتن بتزع الحجاب وطيلة عقود طويلة، وإلاّ يتعرضن للفصل والمحاربة، والأدهى من ذلك والأمر نشأت جمعيات تقودها المرأة نفسها تدعو إلى التبرج والسفور أمثال: جيهان السادات، صفية زغلول، وهدى شعراوي، ودريه شفيق مؤسسة حزب (بنت النيل)، ومؤسسة (حركة الدفاع عن المرأة) .. وأخريات.

يقول مورو بيرجر: (المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين، وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيداً عن الدين) ⁽¹⁾.

ويقول غلادستون: (ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة.. من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة) ⁽²⁾.

فأعداء الإسلام لا يقدمون على شيء حتى يدخلونه في مختبراتهم، ويدرسونه دراسة مستفيضة، وبعد أن يحكموا السيطرة عليه ومن كل جوانبه يضعون مخططاتهم، وأغلبها يكون لها رواجاً وتقبلاً من قبل المسلمين والمسلمات، والسبب يعود إلى ضعف الوعي الإسلامي، وانحسار الدعاة الذين يبلغون عن ربهم نتيجة حرب الظلمة والطغاة لهم.

إن المرأة المسلمة اليوم ليس كالمرأة في الأمس، فالיום نرى أن المرأة قد وعت دورها، وأصبح لها شأنًا في الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام، فقد كثر اليوم عدد الحافظات للقرآن الكريم، وكثر عدد الداعيات إلى الله، وهذا من تباشير عودة الإسلام وظهوره.

2- التحدي الفكري:

لقد بذل اليهود والصليبيون قصارى جهدهم وعصارة أفكارهم وكل ما لديهم من خبث فكري وطيلة الوجود الإسلامي منذ البعثة النبوية إلى يومنا هذا، وسيسمر إلى قيام الساعة - وقد بينا ذلك في أكثر من موضع - لأجل أن يقضوا على بيضة الإسلام وأهله، ولكنهم خابوا وخسروا، وبما أننا

⁽¹⁾ الموضة في التصور الإسلامي - الزهراء فاطمة بنت عبد الله - الطبعة الأولى 1411 - 1991 - مكتبة السنة - القاهرة، ص 49.

⁽²⁾ المصدر نفسه.

بصدد التحدي الفكري فقد بيّن الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) مقدار الحق والعداء اليهودي للمسلمين والتحديات الفكرية التي واجهوا بها الرسالة الإسلامية عبر التاريخ وتحت مسمى الصهيونية، وهم لا يزالون يصبون جام غضبهم وبكل ما أوتوا من قوة.

فيقول: (ولقد غدت هذه الروح العدائية التي شكلتها كتب اليهود من التوراة والتلمود وغيرهما النفسية اليهودية عبر التاريخ، من هذا العصر فقدت الواجهة الجديدة لليهودية وهي الحركة الصهيونية)⁽¹⁾.

وأهم باب سيطروا عليه في هذا الجانب هو سيطرتهم على جانب مهم من حركة الاستشراق⁽²⁾، ووضعوا خططاً جبارة وروجوا دعايتهم على أن الإسلام أكذوبة كبرى، وليس ديناً أوحاه الله إلى محمد ﷺ، وأنه ليس إلا رجلاً أمياً افترى على الناس كذبا، وتنكروا في ادعاءاتهم الكثيرة حول هذا الموضوع لقواعد البحث العلمي في الوصول إلى الحقيقة، فأتوا بضروب من الجهل والادعاء والتجاهل والادعاء الباطل ما لا يعلمه أو يدركه إلا المختصون عقيدة وشريعة وحضارة⁽³⁾. ومن أقوال هؤلاء الحاقدين على الإسلام وشريعته:

فهذا جولد زيهر الذي حاول في كتاباته الطعن في نصوص القرآن الكريم والادعاء بأن الصحابة قد تصرفوا فيه زيادة ونقصانا، وعد القراءات القرآنية وجهاً من وجوه التحريف، واستند في كل ذلك إلى الروايات التي دسها الجوس واليهود والمنافقون في تحريف القرآن، وجعلها من المسلمات ولا تقبل الرفض، وذهب إلى أن القرآن الكريم مزيج من عقائد اليهود والنصارى والجوس، وأن فيه خرافات كثيرة كمعجزات الأنبياء والجن، كما وجه مطاعنه إلى الرسول ﷺ، وشكك في الوحي

⁽¹⁾ موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ص 5.

⁽⁴⁾ يقول الدكتور محمد البهي متحدثاً عن الحركة الاستشراقية اليهودية: (الظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام، والتشكيك في قيمته بآثبات فضل اليهودية على الإسلام مدعين أن اليهودية هي مصدر الإسلام - كما زعم جولد زيهر وغيره - ولأسباب سياسية تتصل بالصهيونية فكراً أولاً ثم دولة ثانياً). ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - الدكتور حمدي محمد زقزوق ص 49.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه ص 28.

النازل عليه، وأنكر معجزاته، وزعم أن رواة السنة النبوية كذابون وأنهم لفقوا الأحاديث على محمد، وافترى على المسلمين أنهم لم يدققوا في أمور عقيدتهم، وافترى على فقهاء دمشق وبغداد وزعم أنهم تأثروا بالقوانين الرومانية⁽¹⁾.

ثم جاء من بعده تلميذه (جوزيف شاخ) الذي درس التشريع الإسلامي ومصادره، لأجل الطعن فيه وبحضارة الإسلامي، وارجع كل فضيلة من فضائله إلى المصادر الرومانية، ففي كتابه (مصادر الفقه الإسلامي) حاول أن يثبت عبر منهج يهودي استشراقي سقيم أن الإجماع في الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني⁽²⁾.

وأما (برنارد لويس) المستشرق اليهودي فقد ظل في دراساته التاريخية والحضارية كلها ينطلق من المخطط اليهودي الذي مشى عليه جولد زيهر، وشاخر وغيرهما بمحاولة تثبيت الأثر اليهودي في الحضارة الإسلامية⁽³⁾.

جاء في كتاب الاستشراق لرضوان السيد وهو يذكر برنارد لويس قال: (لقد ظل الرجل صهيونياً يتعامل مع النص التاريخي العربي القديم وسجلات الضرائب العثمانية، وعينه على الزحف الصهيوني المعاصر على أرضنا حتى غادر بريطانيا إلى الولايات المتحدة فحسر عن وجهه اللثام تماماً، فلم يعد حاضراً عنده من الإسلام وحضارته غير المفهوم الأمريكي للشرق الأوسط الذي أسهم هو وغيره في صياغته، ولم يعد حاضراً من المسألة السياسية الأمريكية غير مواقف اليمين واليسار الإسلاميين من الكيان الصهيوني بفلسطين، والمصالح الأمريكية في العالم الإسلامي)⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه ص 29. يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (وتعصب شاخر اليهودي يدفعه إلى أن يطلق على فلسطين اسم إسرائيل حتى في أيام الدولة العثمانية التي لم تكن مشكلة فلسطين مع اليهود مثارة أصلاً ولم يكن اسم إسرائيل متداولاً يومئذ في القاموس السياسي).

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 30.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه نقلاً من كتاب الاستشراق - التاريخ والمنهج والصورة - بحث ثقافة الاستشراق - رضوان السيد ص 6.

ومعلوم لدى كل طالب علم أن أهداف اليهود تلتقي بأهداف النصارى في القضاء على دين الله الإسلام، فهي مؤامرة عظمى حاك خيوطها اليهود تحت شعار (عدو عدوي صديقي). قال الدكتور حمدي زقزوق: (وهكذا لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم، ولهذا عملوا ب وصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى)⁽⁴⁾.

3- التحدي الاقتصادي:

البلاد الإسلامية غنية بثرواتها المعدنية، وغنية بمواردها المائية والزراعية، لهذا كله فإن دوائر البغي والعدوان قد كشرت عن أنيابها لنهب هذه الثروات ولاسيما النفط، لأنه عصب الحياة في ظل التطور التكنولوجي، والمكننة الحديثة.

فالعالم الإسلامي يمتلك 70 بالمائة من الاحتياطي العالمي من مخزون النفط العالمي، بينما الولايات المتحدة الأمريكية تملك 6 بالمائة، ومن الممكن أن ينفد خلال تسع سنوات، وأما مخزون أوروبا الغربية فقد بلغ أقل من 3 بالمائة، وأما اليابان فهي دولة مستوردة كلياً للنفط.

فهدف الغرب ومنذ عقود من الزمن هو مصادرة النفط وإخراجه من ساحة المواجهة والتحكم، فلو رجعنا إلى الإحصائيات والبيانات الدولية التي تقدمت في مبحث النفط، لوضح لنا الطريق بأن هدف أعداء الإسلام من ذلك هو سلب هذه النعمة من ملك المسلمين، وتجويعهم وجعلهم يستجدون الخبز⁽²⁾، وفعلاً تم لهم ذلك، ولاسيما الحصار الأمريكي الذي فرضته على العراق أثناء عدوانها في عام 1990م.

فال حرب الاقتصادية التي تقوم بها دوائر الكفر والشعوذة ضد عالمنا الإسلامي، تعتبر من أصعب الحروب التي تمس الذات الإنسانية، لأنها تستهدف عيشه وصحته، وقد دلت الإحصاءات العالمية

⁽⁴⁾ الاستشراق للدكتور الزقزوق ص 49.

⁽⁴⁾ العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد ص 35.

بأن الآلاف من العراقيين ماتوا بسبب وطأة الحصار الاقتصادي عليهم، إضافة إلى الحصار الدوائي والطبي والذي استمر سنوات طويلة قد تجاوزت العشر سنوات.

وثمة هدف آخر تبغي من وراء الدوائر الاستعمارية هو حماية الاقتصاد الغربي وجعل اقتصاديات الدول الإسلامية مرهونة بالاقتصاد الغربي حتى تصل موارد المسلمين إلى المستهلك الغربي بأسعار متدنية وهذا يستدعي السيطرة الكاملة على ثروات المسلمين الطبيعية⁽¹⁾.

إنها مؤامرة تلو مؤامرة، للقضاء على الإسلام وأهله، ولكن الله عز وجل هو الذي حفظ لهذه الأمة دينها وكيانها وهيئ لها كل أسباب العيش الرغيد يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁽²⁾.

4- التحدي العسكري: أقول: لما أفلست الدول الكبرى المعادية من التحديات السالفة الذكر استخدمت أسلوب الكفاح المسلح ضد المسلمين في كثير من الدول الإسلامية ومنذ الثمانينات ولحد الآن، ونذكر منها ما يأتي⁽³⁾:

- إبادة في البوسنة والهرسك على أيدي الصرب لمجرد انتمائهم للإسلام.
- سحق لهم في إقليم أركان في بورما على أيدي البوذيين.
- مذابح لهم في أذربيجان على أيدي الأرمنيين.
- تدمير لمساجدهم في الهند على يد الهندوس.
- محاربة لهم في الجزائر.
- حملة صارمة ضد (15) مليون مسلم في إقليم تركستان الشرقية و (سنكيانج) في الصين على يد بقايا الشيوعيين.

- حرب أهلية في شمال العراق بدعوى الشرعية والنظام الدولي الجديد.
- حرب أهلية في الصومال أوشكت على أن تقضي على خمسة ملايين من المسلمين.

⁽⁴⁾ ماذا تريد أمريكا والصهيونية، الدكتور عبد الرزاق السعدي، ص 5، دار الأنبار للطباعة والنشر.

⁽⁴⁾ البقرة: 257.

⁽¹⁾ لماذا هذه الحرب ضد العالم الإسلامي - رعد كامل الحياي ص 4 - مطبعة الخنساء .

- مجازر في اريتريا راح ضحيتها الكثير من المسلمين.
 - معارك ضد المسلمين في ليبيريا على يد الحكومة الشيوعية والصليبية.
 - ضياع في الجمهوريات الإسلامية.
 - قمع وتصفية في ألبانيا على يد النصارى الأرثوذكس.
 - شتات وحرب ضد المسلمين في أوروبا.
 - طرد وإبعاد في فلسطين على يد اليهود.
 - حرق بيوت المسلمين بما فيها كشمير على يد الهندوس.
 - مذابح جماعية ضد مسلمي سريلانكا على يد الجيش البوذي، والتاميل.
 - حملات القتل والإرهاب في جزر مورو جنوب الفلبين على أيدي نصارى الفلبين.
 - غزو صليبي مبرمج في الإمارات العربية ليكون منطلقاً لتضير البلاد العربية.
 - حملات الإبادة في كمبوديا على يد الشيوعيين.
 - غزو صليبي في اندونيسيا وماليزيا.
 - إبادة ضد المسلمين في الشيشان على أيدي الروس القياصرة لجرد انتمائهم للإسلام.
- ولازالت التصفية قائمة في الوقت الحاضر ضد المسلمين في فلسطين وفي بعض الدول العربية، ولكن الانتفاضات الشعبية الإسلامية بلغت مبلغها ضد الأنظمة الجائرة حتى استطاع الشعب المسلم في مصر وتونس من إسقاط نظامي الحكم فيهما، ولازالت الانتفاضة الشعبية قائمة في كل من سوريا واليمن وليبيا.

خوف أعداء الإسلام من عودة الإسلام مجدداً:

وأعداء الإسلام أشد ما يخشون على أنفسهم اليوم من عودة جديدة للإسلام، وهذا هو الذي يقض مضاجعهم، فهم يبذلون قصارى جهدهم وبكل ما أوتوا من قوة في عدم عودته، فقد انتهجوا سياسات كثيرة، فكرية، واقتصادية، فلم يفلحوا، والآن يسلكون الطريق العسكري في اجتثاث الإسلام، ولكنهم لن يقدرُوا على ذلك.

يقول الباحث الألماني بول شمتز: (إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوربي لمواجهة هذا العملاق الإسلامي الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه، هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب) ⁽¹⁾.

هذا ما يجول في بالهم، فهم يعتقدون جازمين بأن الإسلام له عودة وظهور جديدين على الساحة، لهذا يعدون العدة والوسائل والمناهج لعدم عودته فلن يستطيعوا أبداً. وأما أقوال الساسة الغربيين فنذكر بعضها:

يقول ميتران: (إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر، فسوف أ تدخل عسكرياً كما تدخل بوش في بنما) ⁽²⁾.

ويقول نيكسون: (يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية) ⁽³⁾.

ويقول كارتر: (والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف، ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً، والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في زي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة) ⁽⁴⁾.

لهذا نجد أكثر الداخلين من الغربيين في الإسلام هم من الطبقة المثقفة والبارزة في عالم الفكر والإبداع والإنتاج، لأنهم أيقنوا أنه لا منهج أحسن من منهج رب السموات والأرض، منهج الإسلام، الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (هناك ظاهرة فكرية واضحة في العالم الغربي بالنسبة لحركة الدخول في الإسلام، وهي أن الذين يختارون الإسلام، ويخلصون له، ويدافعون عنه، هم من

⁽¹⁾ الإسلام قوة الغد العالمية - بول شمتز - الطبعة الأولى 1394، ص 324.

⁽¹⁾ وعد كسينجر - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص 70.

⁽¹⁾ المصدر نفسه ص 72.

⁽¹⁾ المصدر نفسه .

ذروة الطبقة المثقفة هناك، أي أن الإسلام منذ بداية هذا القرن شرع يدخل المجتمع الغربي من قمته لا من قاعدته⁽¹⁾.

نماذج من المفكرين الغربيين الذين دخلوا الإسلام عن قناعة تامة:

1. المفكر الانجليزي والعالم الرياضي اللورد هدي المتوفي سنة (1935م): يقول عنه الدكتور محسن عبد الحميد: (يوم أن اختار الإسلام له ديناً، فأخلص له غاية الإخلاص، وتحول إلى داعية مؤمن ملاً المجتمع البريطاني بالحديث عن الإسلام، وعقيدته الإلهية السامية، ومبادئه الإنسانية العظيمة القائمة على مراعاة حرية الإنسان وكرامته، وتحقيق مصالحه، والتسامح الكريم واحترام جميع الأديان السماوية، لقد كان اللورد هدي (رحمه الله تعالى) في بداية حياته (بروتستانتي المذهب) إلا أنه بقي حائراً متسائلاً، ينشد الحقيقة ولا يعثر عليها، ثم درس المذهب الكاثوليكي فلم يجد نفسه الضائعة فيها، ثم درس الإسلام في مصادره دون أن يتأثر بفكر أحد أو يصادق مسلماً، واستمرت هذه الجولة الفكرية عنده سنين طويلة قارن فيها بين الإسلام وما كان عليه من دين ومذاهب ثم قارن بينه وبين الفلسفات التي كانت تتصارع في زمانه، ثم خرج من هذه الدراسة العلمية الواعية، مؤمناً مسلماً وجهه لله رب العالمين، وسخر كل ما يملك من مال وقلم لنشر الإسلام في ربوع بلده والبلاد المجاورة)⁽²⁾.

2. المفكر الانجليزي (خ كمال الدين): هذا المفكر تقلب في مذاهب مختلفة، إلى أن وصل إلى أن الإسلام هو الحياة، وهو الخير، ووجد في حياة الرسول ﷺ - بعد أن درسها دراسة مستفيضة - كل ما ينبغي، فهم بما وعشق خصاله، ودرس الإسلام وتعمق في مقاصده وغاياته حتى ألف كتابه (المثل الأعلى في الأنبياء)⁽³⁾، أراد فيه إثبات ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ وأنه هو المثل الأعلى في الأنبياء، ولا بد للبشرية أن تتخذة نبياً وقائداً وزعيماً حتى

(1) حركة الإسلام ومفكرو الغرب ص 13.

(2) المصدر نفسه ص 15.

(3) هو: كتاب أدبي فلسفي تاريخي، أظهر فيه خصال الأنبياء، وخلص إلى أن النبي محمد ﷺ هو أفضلهم بلا منازع.

تستطيع أن تتخلص من الظلمات التي تعيش فيها، ومن الرذائل التي تفتك بأبنائها. وبسبب هذا دخل الإسلام الكثير من الانجليز، رغم المضايقات والاضطهاد الحكومي والعائلي (1).
انهيار الدول الغربية الكافرة شيئاً فشيئاً، وانهيار الأنظمة العربية المستبدة دليل على عودة الإسلام:

إن الانهيار اليوم الذي يشهده العالم، والتخبط العشواء من أجل البقاء، وكأنها الأنفاس الأخيرة لمريض يحتضر، وقد عجز الأطباء من إيجاد الدواء الناجع الشافي لإنقاذه، ولكن أنى لهم هذا، فإن مقاليد السموات والأرض بيده سبحانه، وأن غيرة الله على دينه هي المهيمنة، وأن دينه هو الذي سيسمو فوق الهامات وإن لناظره قريب.

لقد نهارت الشيوعية بعد أن كانت القطب الثاني القوي في العالم المتمثل بالاتحاد السوفيتي، وربما القطب الأقوى في العالم، وكيف أنه كان مهيمناً على دول كثيرة في العالم ولاسيما الدول الإسلامية، وكيف أنها كانت تدين له سياسياً وفكرياً واقتصادياً وعسكرياً، لقد نهارت إلى غير رجعة والحمد لله رب العالمين.

وكلما نشأت إمبراطورية جديدة لا تدين لله عز وجل، فستؤول إلى انهيار كسابقتها وإلى غير رجعة ودوام الحال من المحال قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

المطلب الرابع عشر

النظام العالمي الجديد (العولة) (GLOBALIZATION)، أنواعها، وكيف

نشأت، ولماذا وجودها الآن؟

مقدمة:

يعرف المتصلعون بالسياسة العالمية والمتخصصون من أن كل المؤامرات السابقة التي هي ضد

(1) المصدر نفسه ص 16.

الإسلام كانت تتسم بالسرية التامة، وأنها حيكت على المسلمين وراء الكواليس وفي جنح الليل البهيم، وأما اليوم وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة على العالم، ظهر علينا هذه المخطط السيئ، وهذا النظام العدائي البغيض، هو (النظام العالمي الجديد) والمسمى (العولمة)، الذي لا يزال سائر المفعول على العالم بأسره، وبخاصة العالم الإسلامي، فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال العراق وأفغانستان عسكرياً، وجعلت لها قواعد عسكرية جوية وبرية في أنحاء مختلفة من عالمنا الإسلامي، وأما سياسياً فإنها تسيطر سيطرة كبرى على أغلب الدول الإسلامية وتخضع لهيمنتها بحجة القضاء على الإرهاب العالمي المزعوم الذي هو أيضاً من صناعة اليهود ومن حالفها من الصليبيين والمنافقين.

أقول: لما رأت الدول الكافرة صحوة المسلمين وعودتهم إلى شرع الله عز وجل في جميع البلاد الإسلامية غاضها ذلك وامتعضت أشد الامتعاض، بل اشتد خوفها وفرعها، فابتدعت النظام العالمي الجديد ذا القطب الأوحـد للقضاء على هذه الصحوة العارمة التي أصبحت تقض مضاجعهم، ولينتهي صراع القطبين العالميين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، لتتفرد الأخيرة بمقدرات العالم، خصوصاً العالم الإسلامي.

يقول الشيخ إبراهيم النعمة: (فإن (النظام العالمي الجديد) اليوم يفصح عما بيته ويبيته للعالم الإسلامي جهاراً نهاراً، فهذه هيئة الإذاعة البريطانية تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) فتقول: (إن الجهد الرئيس للمخابرات الأمريكية الذي كان منصباً لمراقبة إمبراطورية الشر - يعني الاتحاد السوفيتي - سيتجه أساساً لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ووضع العقوبات والعراقيل أمامها)⁽¹⁾.

فأمريكا لها أهداف ثلاثة رئيسة للسيطرة على العالم الإسلامي تتلخص بما يأتي⁽²⁾:

1. السيطرة على الثروات الإسلامية.

(1) العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد - مقدمة الشيخ إبراهيم النعمة، ص 2، وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج - سفر عبد الرحمن الحوالي، ص 69-70، مؤسسة الكتاب الإسلامي، دلس، الولايات المتحدة - 1412هـ - 1991م.

(2) ماذا تريد أمريكا والصهيونية ص 5.

2. الاعتراف بالكيان الصهيوني والمحافظة على سلامة أمنه.
3. السيطرة على صنع القرار، أي ضمان استمرار النفوذ الأمريكي في دول العالم الإسلامي، بحيث لا تستطيع تلك الدول من اتخاذ قرار ما إلا بمباركة أمريكية وبموافقتهم.
- لقد صرح مسؤولون غربيون بأن عدوهم الأول الآن بعد أفول نجم الشيوعية في العالم هو الدين الإسلامي، فهم يحاولون مقاومة انتشار هذا الدين ويشددون الوطأة والمضايقات على أبنائه، والذي يرفع لواء هذا العداء السافر والحقد الدفين هي الولايات المتحدة الأمريكية لتستمر في فرض سيطرتها على دول حلف شمال الأطلسي من جانب ولتمتد وصايتها على دول العالم الإسلامي جميعاً الأهداف والأطماع الكثيرة (1).

تعريف العولمة (GLOBALIZATION) :

(هي نظام عالمي يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم) (2).

وعرفها ويبسترز (Websters) : (هي اكتساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء عالمياً) (3).

ويعرفها صندوق النقد الدولي: (إنما التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم، والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات، وتنوعها عبر الحدود، إضافة لتدفق رؤوس الأموال الدولية، والانتشار المتسارع للتكنولوجيا في أرجاء العالم كله) (4).

(1) المصدر نفسه.

(2) العولمة، د. عبد الكريم بكار، ص 11، دار الإعلام. والعولمة هي: واحدة من ثلاث كلمات عربية طرحها ترجمة للكلمة الانكليزية (GLOBALIZATION) والكلمتان الأخريان هما (الكوكبة) و (الكونية) والغلبة في الاستعمال أصبح للعولمة شيوع واستخدامها في وسائل الإعلام، ويعتبر فرنسيس فوكوياما - المستشار في وزارة الخارجية الأمريكية من أوائل الذين استخدموا هذا المفهوم.

(3) الفقه السياسي الإسلامي، د. خالد سليمان، ص 336، الأوائل للنشر، دمشق.

(4) المصدر نفسه.

وعرفها الدكتور مصطفى محمود: (بأنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلاّ خادم للقوى الكبرى)⁽¹⁾.

وهذا التعريف الذي أورده الدكتور مصطفى محمود ينطبق تماماً على ما ندور عليه في بحثنا هذا. وذهب الدكتور سيّار الجميل في أن العولمة تعني: (إنها عملية اختراق كبرى للإنسان وتفكيره وللذهنيات وتراكيبها، وللمجتمعات وأنساقها، وللدول وكياناتها، وللجغرافية ومجالاتها، وللإقتصاديات وحركتها، وللثقافات وهوياتها وللإعلاميات ومدياتها)⁽²⁾.

وأشار أحد الباحثين إلى أن العولمة تعني التعميط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي من أجل إخضاع العالم وجعله يستجيب لما تريده الشركات العالمية متعددة الجنسيات⁽³⁾.

وعالمنا اليوم يتعامل مع مفردات جذابة أخذت تنشر في الدراسات والكتب والمقالات والتصريحات والبيانات مثل: (القرية الكونية) و(المواطن العالمي) و(العولمة)، ويختار لها أمهر الفنانين والرسامين لتصميم معلقات وبوسترات توضح ذلك، وكل هذه التسميات يبتغي في مفهومها غير ما أريد لها، إنها عولمة النهب أو عولمة الفهم الغربي الأمريكي للأشياء بهدف خلق وفرض أنموذج واحد وطابع واحد على كل مفردات الحياة وعناصرها في الاقتصاد والسياسة والعلم وحتى الأخلاق والفن.

نشأت العولمة:

ذهب البعض إلى أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، بل بداياتها الأولى ترجع إلى القرن التاسع عشر، مع بدء الاستعمار الغربي لآسيا وأفريقيا والأمريكيتين، ثم اقترنت بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا، الأمر الذي أدى إلى ولادة نظام عالمي متشابك ومعقد عُرف بالعالمية، ثم العولمة.

⁽⁵⁾ العولمة في المنظور الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، ص 9، ط 1، 2002م.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه ص 8.

⁽¹⁾ صحيفة الجمهورية العراقية، العدد 10096 في 1999/8/18، د. لؤي مجيد حسن.

وذهب آخرون إلى أن مصطلح النظام العالمي كان مستخدماً منذ مؤتمر فيينا عام 1815م، الذي أنشأه مترنيخ رئيس وزراء النمسا، وجدده (بسمارك) الألماني في سبعينات القرن التاسع عشر، ثم تجدد على يد (كلمنصو) الفرنسي في مؤتمر فرساي عام 1919م، ثم تجدد في يالطة على يد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

الثورة الصناعية وأثرها في ظهور العولمة:

إن ظهور الثورة الصناعية بشكلها التقليدي في منتصف القرن الثامن عشر في انكلترا، ثم أوروبا وحيث سمح بترويض البخار والحديد، ثم الكهرباء، لزيادة الإنتاج وقهر المحيطات، ومن ثم خرجت أوروبا من قوقعتها الاقتصادية الزراعية المنغلقة إلى ربوع الأسواق العالمية والاستعمار، فاشتد عود الدولة المعاصر وهي بعد حديثة لم تظهر معالمها إلا منذ القرن السادس عشر، ولم تتأكد أركانها الأساسية في أوروبا إلا بعد حرب نابليون، بل وحتى هزيمة ابن أخيه نابليون الثالث وظهور الدولة الألمانية على يد (بسمارك) كقوة اقتصادية وسياسية في أوروبا، ثم بدأت الثورة الصناعية تدخل مرحلة جديدة من نوع التطورات التقنية، بدءاً من الستينات، ثم جاء بعد ذلك عصر الاليكترونيات والاتصالات والانتقال من اقتصاد الأشياء إلى اقتصاد المعلومات وهكذا كانت جذور العولمة⁽¹⁾.

الولايات المتحدة الأمريكية والعولمة:

إن الأمريكيين يعدون أنفسهم بأنهم أول من تبني شعار العولمة، ومنذ تأسيس دولتهم، فهم يؤمنون بنظرية (العقد المتجلي)، فرؤساء الإدارات الأمريكية كافة صرحوا بأن بلادهم وجدت من أجل قيادة العالم عبر نظام عالمي يتلائم مع ثقافتها وبالتالي الرؤية المنهجية للحياة، فأول رئيس أمريكي (جورج واشنطن) قال في خطابه الرئاسي عام 1789م: (إنه مُوَكَّل بمهمة عَهْدَهَا الله إلى الشعب الأمريكي)، ويسمي رئيس أمريكي آخر هو (توماس جفرسون) في خطابه الرئيس هذه المهمة بمهمة (شعب الله المختار)، وفي عام 1945 قال الرئيس الأمريكي ترومان: (إن النصر الذي حقته الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية وضع على عاتق الشعب الأمريكي عبء

(2) العولمة ومستقبل البشرية، أيمن نور الدين عمر، ص 12، دار لبنان للطباعة والنشر، ط 1.

مسؤولية قيادة العالم)، وقال الرئيس الأمريكي آيزنهاور في خطابه عام 1953: (لمواجهة تحديات عصرنا حَمَلُ القدرُ بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر).

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية، قال الرئيس الأمريكي روزفلت: (الآن يجب أمركة العالم)⁽¹⁾. وفي عام 1961 رأى الرئيس كينيدي أن الهدف من وجود الولايات المتحدة الأمريكية هو قيادة العالم كله.

وفي العام 1963 قال نيكسون: (إن قيمنا للتصدير وليست بنا حاجة للاعتذار من أحد). وأكد جونسون في عام 1965 على أن التاريخ وإنجازاتنا تحملنا مسؤولية الدفاع عن الحرية في العالم

وقال جيمي كارتر عام 1976: (إن مسؤوليتنا تكمن في تأمين نظام دولي مستقر). قال رونالد ريكان: (على أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الحارس للحرية في العالم). وفي يومنا المعاصر نرى أن جورج بوش الأب قد صرح بمقولة له قال فيها: (إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكياً)، والغاية واضحة هي أن تبقى أمريكا الدولة بمثابة قطب واحد أو قطب القوة الأول المطلق في العالم، وتعميم نمط الحياة الأمريكية كطريقة حياة معروضة على الجميع كخيار واحد مفروض⁽²⁾.

وأما بوش الابن فقد جاء بالحرب والدمار ليحتل العراق وأفغانستان بحجة القضاء على الإرهاب العالمي وتحقيق الحرية والحراسة للعالم، وهذا الشعار قديم جداً حيث نادى به فرعون في قومه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُوا رَبَّهُ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾⁽³⁾.

ويرى كثير من الباحثين أن العولمة الاقتصادية بقيادة أمريكا بدأت منذ عام 1944م والتي انبثقت منها الصندوق الدولي، ليقوم حارساً على النظام النقدي الدولي والبنك الدولي ليعمل على

(1) العولمة، د. محسن عبد الحميد، ص 15.

(2) النظام الدولي الجديد وحقوق الإنسان، باسيل يوسف، بحث منشور في كتاب النظام الدولي الجديدة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1992، ص 47.

(3) غافر:

تخطيط التدفقات المالية طويلة الأمد وإنشاء منظمة التجارة العالمية التي أدت إلى اتفاقية (الجات) والتي حولت السياسة التجارية للدول المستقلة إلى شأن دولي، وليس عملاً من أعمال السيادة الوطنية⁽¹⁾.

فأمريكا تبث دعايتها إلى العولمة على أساس فكري مفاده: أن الرأسمالية الليبرالية بشقيها السياسي والاقتصادي قد أثبتت أنها أقرب إلى التعبير عن حقيقة الإنسان وأقدرها على تأمين سعادته ورضائه وتتخذ من انهيار الاتحاد السوفيتي برهاناً زائفاً ومضللاً على صدق ما تدعيه. إن العولمة كما يروج لها دعايتها لا تعدو أن تكون تعبيراً معاصراً عن نزعة تسلطية استعمارية قديمة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب الأليم صاحبت كل قوة غاشمة على مدار التاريخ، كما حدث في مصطلح (الاستعمار)، ولعل من أبرز مظاهر هذه العولمة انهيار السدود بين الحضارات والثقافات وفرض الهيمنة الغربية في مختلف المجالات سياسة واقتصادية وإعلامية وفكرية. يقول الدكتور صلاح الصاوي: (إن عمدة الحضارة الغربية تمثلت في الطباعة والتنصير والبارود، فهي ظل ذو ثلاث شعب)⁽²⁾.

التفرقة بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب:

إن عالمية الإسلام تختلف اختلافاً جذرياً عن العولمة التي جاء بها الغرب، فعالمية الإسلام قائمة على المحبة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقد عرفنا وصايا الرسول ﷺ عندما كان يرسل جنوده إلى الأمصار فيدعوهم إلى الرحمة بالكبير والصغير وينهاهم عن قطع شجرة أو هدم بيت إلى غير ذلك، بينما نجد أن العولمة تدعو إلى الهيمنة، واستلاب حريات الآخرين، وتبديد الأموال وانتهاك حرمتها وصب ذلك لصالح الرأسمالية العاتية بل لحساب حفنة من النخب الرأسمالية.

فالعولمة وسيلة الغازي، والعالمية من خصائص الإسلام ولا بأس أن يأخذ المسلمون من الوسائل ما يكون مفيداً لهم ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم.

⁽⁴⁾ العولمة، د. محسن عبد الحميد ص 18.

⁽¹⁾ وحدة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة، د. صلاح الصاوي، ص 1، شبكة الانترنت.

فالبلاد الإسلامية والعربية بحاجة إلى خبرات الغرب وآلياته التقنية، فطبيعة العلاقات الدولية بين الشعوب والبلدان تقوم على أساس التبادل التجاري والمعرفي والعلمي لا على أساس الاستعمار والحرب والدمار وسلب الحريات واضطهادها.

أشكال العولمة:

أولاً - العولمة السياسية:

تتمثل بالسيطرة على دول العالمي لاسيما الإسلامية، وذلك من خلال السيطرة على قراراتها، وعدم تمكينها بالقيام بأي عمل سياسي إلا بعد موافقتها وأن تكون طرفاً رئيسياً فيه، وهذا ما تفعله أمريكا اليوم، فهي تتدخل في أمور الدول الداخلية والخارجية ظاهراً وباطناً، ولمصلحة الكيان الصهيوني.

ثانياً - العولمة العسكرية:

فالهيمنة العسكرية لأمريكا لا تكون إلا من خلال الاحتلال العسكري وفرض الوصاية على كل دولة تكون معادية للكيان الصهيوني، أو السيطرة عليها من خلال التبعية العسكرية بإرسال الخبراء العسكريين، أو بيع أسلحتها لأي دولة تكون تحت أمرتها السياسية والعسكرية، وتحت غطاء مكافحة الإرهاب العالمي، وهي بهذا التصرف تستطيع السيطرة على الدول الإسلامية، وتمنعها من أن يكون لها دور فاعل في المجتمع الدولي، وكما نرى اليوم من قيام الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال العراق وأفغانستان، ولها قواعد عسكرية في كثير من البلدان الإسلامية لضرب أي قوة إسلامية كدول الخليج والباكستان ومصر.. الخ.

وتبلغ التبعية العسكرية ذروتها في حقل استيراد السلاح، وتحكم أصحاب السلاح المعتمدين في إنتاجه على ثروات البلاد الإسلامية النفطية والمعدنية وعلى أسواق التصريف داخل تلك الدول على حساب المنتجات الوطنية... تحكمهم بمستورديه من أتباعهم أنفسهم⁽¹⁾.

ثالثاً - العولمة الاقتصادية:

(2) بلادنا الإسلامية وصراع النفوذ ص 15 مؤسسة الرسالة - بيروت، 1979م.

للعولمة الاقتصادية أشكال مختلفة من خلالها تنفذ الدوائر الاستعمارية إلى قلب البلدان الضعيفة لتحقيق ما تصبو وتوق إليه، فمن هذه الأشكال:

1- اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة: حيث ترغب كثير من الدول الكبرى بقيام أسواق عالمية لتبادل السلع والمنتجات بين البلدان وبالأخص القوية والضعيفة، لتنشأ بينهما بادئ ذي بدء علاقة مصالح مشتركة ثم تتحول بعد ذلك إلى هيمنة ونفوذ وقد حدث هذا في كثير من البلدان وخاصة دول الخليج العربي والدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾.

2- انتقال الأموال والقوى العاملة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق: يرى كثير من المتخصصين والباحثين أن العولمة تقوم على أساس المعايير الاقتصادية وأنها تعني ازدياد العلاقات المتبادلة المتمثلة بانتقال رؤوس الأموال والقوى العاملة وتبادل السلع والخدمات بين البلدان المختلفة⁽²⁾.

3- خضوع العالم القوي للسوق العالمية الاحتكارية: مما يؤدي إلى اختراق الحدود، وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، ولا يتم ذلك إلا بدخول الشركات الرأسمالية الكبرى الضخمة ذات رؤوس الأموال العالية المستوى، وإذا تحقق لها ذلك استطاعت تلك الدول من التأثير على سيادة البلدان وبالتالي السيطرة على مقدراتها واقتصادها وثرواتها.

4- هيمنة الشركات العالمية متعددة الجنسيات على رأسمال الدول الضعيفة: ويتم لها ذلك من خلال استثمار مواردها المختلفة في تلك البلدان، وقد حدث ذلك في العراق ولعقود من الزمن، مما دعا العراق إلى تأميم جميع شركات النفط العالمية العاملة في العراق.

النتائج والمعطيات:

1- إن العولمة غزو استعماري تسلطي، تبغي من خلاله الدوائر الاستعمارية تحطيم البنى التحتية لبعض الدول التي تراها تهدد وضعها، لكي لا تقوم بعدها أبداً، ولعل ما حدث في العراق وأفغانستان شاهد عصر على هذه العولمة، والعولمة الاقتصادية جزء منها.

⁽¹⁾ النظام العالمي الجديد وموقع العرب منه، د. محمد صالح المسفر، مجلة مركز الدراسات الإنسانية، العدد 8 لسنة 1996، الإمارات، ص 89.

⁽²⁾ الايدولوجيا والنظام العالمي الجديد، د. عبد الرضا الطعان، بحث منشور في كتاب النظام الدولي الجديد، ص 184.

2- على الدول الضعيفة ولاسيما دول العالم الثالث أن تحمي نفسها بإصدار القوانين الصارمة الملزمة في الحفاظ على ثرواتها واقتصادها منعاً من وصول يد العولمة إليها، وهذا هو السد المنيع الذي يمكن أن يتخذ لمنع وصولها إليه.

3- العولمة أو النظام العالمي الجديد أو عالم الحرية شعارات ظاهرها حلو وعذب وباطنها الاستعمار والإذلال والتركيع، فقد استبدل أهل الخبث والرذيلة أسلوبهم القديم بأسلوب براق مبهرج، فقد استخدموا لذلك أسلوب التطور التقني في مجال الحاسوب والانترنت والبرامج المعلوماتية في البغي على العالم الضعيف.

4- العولمة تاريخها قديم ولكن صيغها هي التي تتبدل بين فترة وأخرى، وقد وزعوها بين العسكري والفكري والاقتصادي، فالحصار الاقتصادي الذي فرضوه على العراق لدليل واضح على شعار العولمة الاستعماري.

وبناءً على المعطيات التاريخية فإن العولمة مصيرها كمصير من سبقتها من الشعارات، وقد أرى أن بوادر انتهائها قد لاح في الأفق بإذن الله.

المطلب الخامس عشر

ومن دواعي ظهور الإسلام وبقائه عدم إبادة أتباعه واجتثاثهم، كما

حدث للأمم السابقة

إن من بشارات بقاء هذا الدين واستمراره عدم إبادة أهله واجتثاثهم إلى الأبد، رغم المؤامرات المستمرة والإبادات الجماعية والمجازر والثورات منذ قيامه ببعثة النبي الكريم محمد ﷺ وإلى يومنا هذا وإلى أن يأتي أمر الله بموت المسلمين جميعاً، وأمر الله هو هبوب الريح⁽¹⁾، وبقاء هذه الأمة وديمومتها بقاء هذا الدين، لأنها هي حاملة الرسالة الإسلامية ومبلغتها للناس أجمعين، والله عز وجل تعهد بحفظ هذا الدين بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾، ولا يكون ذلك إلا

⁽¹⁾ قاله الحافظ، ينظر: فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ص 239.

⁽²⁾ الحجر: 8.

بوجود ثلة مباركة تحمل على عاتقها هذا الدين لتبلغه إلى الناس في أصقاع الأرض، وهذه الثلة لن تنعدم أبداً، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوْيَ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيُلْغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتْ الْكَتْرَيْنِ: الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكُهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةً، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوًّا مِنْ سُوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَأَنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيْتُ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةً بَعَامَةً، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوًّا مِنْ سُوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهِمْ، أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) (1).

قال عبد الرحمن آل الشيخ: (قوله ((فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ)) قال الجوهري: بيضة كل الشيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث: أن الله تعالى لا يسلط على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها، وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا) (2).
وقال عبد الرحمن السعدي: (ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدواً يحتاجهم) (3).

وفيه الآية العظيمة: أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية (4).

النبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين ولا نبي بعده:

فكل من ادعى النبوة بعده ﷺ فهو كاذب باطل، ولا صحة لادعائه مهما أوتي من خوارق وعادات، لأن الله عز وجل أخبرنا بأنه النبي الخاتم، ومن أصدق من الله قيلاً، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ

(3) صحيح مسلم: 2215/4 برقم 19 - (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 4/

472 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم . ومعنى زوى: جمع.

(4) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 231.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ص 429.

(2) فتح المجيد ص 238.

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ⁽¹⁾، وحتى عيسى عليه السلام حين يأذن الله بتروله في آخر الزمان فإنه يحكم بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته، فهو كأحد أمته، وهو أفضلهم في وقتها⁽²⁾.

قال شارح العقيدة الطحاوية في عبارة (وكل دعوة نبوة بعده، فغي وهوى): (لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟ لأننا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا تظهر أماره كذبه في دعواه، والغي ضد الرشاد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة)⁽³⁾.

وبهذا يعني أن هذه الرسالة لا بد من استمرارها إلى قيام الساعة، ولا يتم هذا إلا بدعاة ومبلغين يحملونها، ومجاهدين يذودون عنها، وإلا ستندم وسيذهب أثرها، وهذا لا يصح عقلاً ونقلاً، فرسالة الإسلام باقية ما بقي الناس على ظهر الأرض، لأن مراد الله عز وجل هو أن يعبدوه ويوحده ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾، وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))⁽⁵⁾. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تزال

(3) الأحزاب:

(4) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 238.

(5) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: 167/1.

(6) والذاريات:

(7) صحيح البخاري: 6/2667 برقم (6881).

طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾، وعند ابن ماجة بلفظ: ((لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))⁽²⁾.

ثم أن رسالته ﷺ إلى الجن والإنس كافة، وليس إلى العرب فقط، أما الجن، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ⁽³⁾، وأما الإنس، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا⁽⁴⁾، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا⁽⁵⁾، وقال ﷺ: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه (خاصة) وبعثت إلى الناس عامة))⁽⁶⁾.

ثم من واجب الأمة إيصال هذه الرسالة إلى الناس كافة بمختلف الوسائل المتاحة، قال النبي ﷺ: ((بلغوا عني ولو آية))⁽⁷⁾، وفي حديث آخر قال: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))⁽⁸⁾.

⁽⁸⁾ صحيح مسلم: 137/1 برقم (156)، مسند أحمد: 384/3 برقم (15167)، صحيح ابن حبان: 231/15 برقم (6819).

⁽⁹⁾ سنن ابن ماجه: 28/1 برقم (6) عن قره بن إياس ؓ.

⁽¹⁾ الأحقاف: 31.

⁽²⁾ سبأ: 28.

⁽³⁾ الأعراف: 158.

⁽⁴⁾ رواه البخاري برقم (335) و (438) و (3122)، ومسلم برقم (521) وغيرهما، ورواه أبو عوانة: 395/1 ولفظه: ((فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)).

⁽⁵⁾ رواه البخاري 361/6 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

⁽⁶⁾ رواه مسلم برقم (153) من حديث أبي هريرة.

وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة، فهذا الأمر معلوم من دين الإسلام بالضرورة، فلا أحد من المسلمين ينكر هذا، ومن أنكر ذلك فلا يعد من المسلمين.

تجديد الدين دليل استمراريته:

فالتجديد لهذا الدين قائم بنص حديث رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا))⁽¹⁾، وفي رواية ((لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْساً يَسْتَعْمَلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ))⁽²⁾.

وأخرج البيهقي: قال أحمد بن حنبل: (إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعي، لأنه ذكر في الخبر عن النبي ﷺ أن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من يُعَلِّم الناس السنن، وينفي عن النبي ﷺ الكذب، فنظرنا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي)⁽³⁾.

وقال ابن كثير: (وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر والله أعلم: أنه يعم حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين.. إلى غير ذلك من الأصناف)⁽⁴⁾.

وهذا التجديد إشارة من النبي ﷺ إلى استمرارية هذا الدين وعدم انقراضه، فالتجديد يعني ديموميته، والتجديد نوعان: عام، وخاص، أما العام فيشمل كل المسلمين، وكل البلاد الإسلامية — أي دعوة عامة — ، وأما التجديد الخاص أو الإقليمي فيشمل بلدة معينة أو إقليم معين، أو جماعة معينة.

⁽⁷⁾ سنن أبي داود: 4/ 512 برقم (4291) وصححه الألباني برقم (601).

⁽⁸⁾ سنن ابن ماجه: 1/ 5 برقم (18) قال عنه الشيخ الألباني: حسن.

⁽⁹⁾ انظر: الدر المنثور: 1/ 768، السلسلة الصحيحة: 2/ 148.

⁽¹⁾ النهاية في الفتن والملاحم: 27/1.

ونخلص مما تقدم إلى أن هذه الأمة باقية ببقاء رسالتها التي ختم الله بها الرسالات جميعاً، ولا بد من وجود من يدعو إليها، فلا يزيغ عنها إلا هالك، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (1).

ولا يصدق أن يترك الله سبحانه الناس بدون داعية أو مصلح أو مبلغ يدعوهم إلى دينه، لأن الله عز وجل لا يعذب أحداً لم تصله الرسالة، وذلك بنص قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (2). ففي هذه الآية دلالة على أن هذا الدين سيصل إلى كل إنسان عاقل بعز عزيز أو ذل ذليل، لأجل أن يقيم عليهم الحجة، وهذه هي الغاية من بعث الرسل والأنبياء.

تهيؤ المسلمين لعودة الإسلام وظهوره يحتاج إلى متطلبات:

إن عودة الإسلام وظهوره مجدداً يتطلب مهاماً محددة يجب أن يقوم بها المسلمون أحسن قيام، أي بمعنى التهيؤ التام لهذا الأمر الجلل.

فالمسلمون في بداية أمرهم، عندما كانت الطليعة المؤمنة بقيادة رسول ﷺ تكافح السخرية والاستهزاء والتنكيل الذي كانت تواجهه من مشركي قريش في العهد المكي، وأغلب الآيات التي كانت تنزل عليهم في تلك الفترة إنما كانت تدعوهم إلى الصبر والتحمل والتجلد والجدية في نشر الدعوة. وهذا الأمر في غاية الأهمية، لأن الدعوات السماوية كلها قامت على هذا الأساس، فهي تحتاج إلى كفاح مرير من أجل الوصول إلى الهدف المنشود قال تعالى: ﴿وَلْتَبْلُوْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ (3). وللتهيؤ فلا بد من متطلبات:

1. العودة الصحيحة لكل مسلم إلى الله عز وجل بتحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في الأقوال والأفعال في المنشط والمكره، وعدم الحيدة إلى غيرهما، ولا يكفي الإدعاء والقول، إنما يجب أن يكونا مقرونين بعمل وفعل يبرز الإسلام عن غيره.

(2) آل عمران: 85.

(3) الإسراء: 15.

(4) محمد: 31.

2. . توحيد الجهود تحت راية واحدة مخصصة ليس همها سوى عودة الإسلام إلى سدة الحكم، هذه القيادة يجب أن تكون في غاية التفاني والجهاد، ولتعلم كل مسلم أن تشتت القيادات واختلاف الأهداف يؤدي إلى تأخر الوحدة والالتزام.
3. على كل مسلم أن يكون عالماً بما يحاط به من أفكار وسياسات وأهداف، لأجل أن يحذرهما ويتقي شرهما إذا كانت معادية ومنحرفة، ولا يتحقق ذلك إلا بالتوجه العلمي الصحيح، والتلقي يجب أن يكون من العلماء العاملين تحت منهج الوسطية السليم، لا كما يدعي الداعون.
4. تسخير جميع الطاقات المادية والمعنوية لغرض الوصول إلى الهدف الأسمى، فعلى كل مسلم أن يستخر قوته وماله وولده في مرضات الله عز وجل كما كان عليه الجيل الأول من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.
5. استخدام الإعلام المؤثر بدور الإسلام في بث روح المحبة والأخوة والتراحم، وذلك عن طريق القنوات الفضائية التي دخلت جميع البيوت، وعن طريق الإعلام المرئي والمكتوب.
6. الدعوة والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة في جميع المحافل الدولية والإقليمية والمناطقية وبصورة مكثفة، وعدم المصادمة مع التيارات العلمانية والقومية والليبرالية على ضوء المبادئ القرآنية كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾.
7. عدم اللجوء إلى العنف والوسائل العسكرية في الدعوة لعودة هذا الدين، لأن أعداء الإسلام لهم وسائل خبيثة في قمع الحركات الإسلامية، فاليوم يشوهون سمعة الإسلام تحت مسمى الإرهاب والعنف، فقد بذلوا أموالاً لا يعلمها إلا الله لتشويه صورة الإسلام باصطباغه بالعنف وعدم الرحمة، فلا تكن عوناً لهم. وقد يدسون المنافقين في صف المسلمين لزعزعته، وهذا ما يحدث اليوم.

(1) النحل: 125.

8. ليكن الإسلام هو غايتك الوحيدة في حلك وترحالك، وكن دعائاً طيباً له وحذاري أن تشوهها، لأنك المرآة العاكسة لصورة الإسلام، حيث رأينا كثيراً من المسلمين حينما يذهبون إلى دول الغرب لا يظهر منهم إلا الشذوذ والإفراط الجنسي والتصرف الأخلاقي، وسرعان ما ينخرطون في الفكر الأوربي.. لهذا قال كثير من الغربيين: إن المسلمين هم أشد الناس شذوذاً وسوءاً وانحرافاً.

9. تنشأة جيل يتربى على القرآن والأفكار الإسلامية الصافية، الخالية من الكراهية والبغض.

10. ملاحقة مخططات الأعداء ودراستها من قبل مجموعة مباركة من أهل العلم والدراية دراسة محكمة مستفيضة، ومن ثم فضحها بأسلوب حضاري ليقبها المسلمون.. مع وضع ردود فعل إسلامية ضدها.. وبهذا تكون قد حذرت المسلمين منها.

11. واحرص على تسخير المال في سبيل الله، لأنه عصب الحياة وأعظم وسيلة في نشر هذا الدين، وأكثر ما تستخدمه الدوائر المعادية للإسلام في تشويه صورته وبأساليب مشينة وسيئة، لهذا تطلب الأمر استخدامه استخداماً أمثلاً لهذا الغرض الجوهري، ويتم ذلك بوضع الخطط الجيدة والكفيلة في تنشيط حركة الدعوة في كافة أنحاء العالم ووفق الوسائل الإسلامية الصحيحة في تنشيط ذلك.

المطلب السادس عشر

ظهور المهدي دليل على عودة الإسلام وظهوره

يعتقد كثير من المستشرقين وكتّاب الغرب أن المهدي وظهوره خرافة لا صحة لها، وأنها أسطورة أوجدها المسلمون لبعث روح الأمل في عودتهم، وقد ألفوا بذلك المؤلفات من كتب ومقالات، ولكن الحق أحق أن يتبع، فالمهدي حقيقة لا مهرب منها، أخبر عنها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأنه من العلامات الكبرى لقيام الساعة، وفي هذا الفصل سنتناول هذا الموضوع الحيوي وبكل دقة وإنصاف معتمدين بذلك على الروايات الصحيحة، لأجل جلاء الأمر وكشف الغموض الذي يعتري كثير من المثقفين المسلمين، وفي نظرنا أن الأمر في غاية الأهمية، لذا اعتمدناه كدليل على عودة الإسلام وظهوره، وفيما يأتي التفصيل:

من هو المهدي:

لقد نصت الأدلة الصحيحة على أن المهدي يولد ولادة طبيعية، وهو من أهل بيت رسول الله ﷺ، قال ﷺ: ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة))⁽¹⁾، فالمزاعم التي قيلت بأنه اختفى وسيظهر آخر الزمان فلا أصل لها في كتب أهل السنة والجماعة، وإنما هي من افتراءات المبتدعة كما تشير إلى ذلك المصادر المعتمدة.

اسمه وكنيته وأوصافه:

فاسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبو عبد الله، وأوصافه أنه: أجلى الجبهة، أكحل العينين، براق الثنايا، في خده الأيمن خال، كث اللحية، أقنى الأنف، في كتفه علامة النبي ﷺ، يشبه النبي ﷺ في الخلق، ولا يشبهه في الخلق، أسمر، مقوس الحاجب، مشرق اللون⁽²⁾.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى وأقنى الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين))⁽³⁾.

وفي رواية أبي داود، قال ﷺ: ((المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين))⁽⁴⁾.

دوره في عودة الإسلام:

لقد أكدت المصادر الصحيحة أن المهدي يصلحه الله عز وجل في ليلة، وأنه يحكم بشريعة محمد ﷺ، ويملئ الأرض قسطاً وعدلاً، وأن المسيح عيسى بن مريم يصلي خلفه ويأتمر بأوامره، ويعم الخير وتتعاظم البركة، ويشمل حكمه أرجاء الأرض، وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام، فيساعده على

⁽¹⁾ مسند أبي داود برقم (4284) قال الشيخ الألباني: صحيح. وعتره الرجل: ولده من صلبه.

⁽¹⁾ ينظر: كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن - محمود رجب الوليد ص 159.

⁽¹⁾ مسند أحمد بن حنبل برقم (11146) شعيب الارنؤوط: قال صحيح دون قوله (يكون سبع سنين).

⁽¹⁾ سنن أبي داود برقم (4285) قال الشيخ الألباني: حسن .

قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه⁽¹⁾، ومن هذه الأحاديث الصحيحة التي خصت هذا الموضوع الحيوي نذكر منها:

1. فعن قرّة بن إياس قال: قال رسول الله ﷺ: ((لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً))⁽²⁾.

2. قال رسول الله ﷺ: ((يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني سنين))⁽³⁾، فهو يحكم سبع سنين أو ثمان، ويعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

3. قال رسول الله ﷺ: ((المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة))⁽⁴⁾.

4. قال رسول الله ﷺ: ((يتزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة))⁽⁵⁾. وفي رواية مسلم قال النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين يوم القيامة، فيتزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة))⁽⁶⁾.

5. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيْكُمْ،

⁽¹⁾ ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (2293) قال الشيخ الألباني: صحيح فقد جاء مفراً في أحاديث، ونص الحديث: ((المهدي منا يصلي ابن مريم خلفه)).

⁽²⁾ ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (1529) قال الشيخ الألباني: صحيح، مجمع الزوائد للهيتمي برقم (12396).

⁽³⁾ أخرجه الحافظ في المستدرک: 5581/4، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي. ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (711) قال الألباني: صحيح.

⁽⁴⁾ ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (2371) قال الشيخ الألباني: صحيح.

⁽⁵⁾ ينظر: السلسلة الصحيحة برقم (2236) قال الشيخ الألباني: صحيح.

⁽⁶⁾ صحيح مسلم: 137/1 برقم (156)، مسند أحمد: 384/3 برقم (15167)، صحيح ابن حبان: 231/15 برقم (6819).

وَأَمَّاكُمْ مِنْكُمْ))، وفي رواية ((وَأَمَّاكُمْ))، ورواية أخرى ((فَأَمَّاكُمْ مِنْكُمْ))، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة ((وَأَمَّاكُمْ مِنْكُمْ))، قال ابن أبي ذئب: تدري ما أممكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأممكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ⁽¹⁾. والإمام هو المهدي عليه السلام.

سبب خروج المهدي:

إن خروج المهدي لم يكن إلا لأمر مهم جداً وهو حاجة الأمة إلى من ينقذها من الفساد الذي سيعم ويطم حتى لا يكاد يجرو أحد من المسلمين أن يرفع صوته ب (لا إله إلا الله) إلا تعرض للقتل والإبادة، فتؤيده الطائفة المؤمنة وتسانده، التي لا تزال ثابتة رغم فساد المفسدين وقهر الجبابرة، والتي لها دور كبير في تطهير الأرض منهم، لا يضرها من خالفها وخذلها، فيقتلون اليهود بقيادة المهدي ويقتل الدجال.

والمهدي يهرب من المدينة إلى مكة بعد أن ينكشف أمره بين الناس، وهروبه من الإمارة بسبب كثرة زهده وعدم رغبته لها، فيحصره الناس بين الركن والمقام في بيت الله الحرام، فيضطرونه حتى يقبل البيعة كخليفة للمسلمين وأميراً لهم، ومجدداً لمنهج رب العالمين.

فعن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: ((سيكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء فإذا سمع بذلك الناس أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله من كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهر عليهم ويغنمون غنيمة، والحية لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم بينهم فيقيم فيهم سنة نبهم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع))⁽²⁾.

(7) صحيح البخاري: 1273/3 برقم (3265)، صحيح مسلم: 135/1 برقم 244 و 245 و 246 - (155).

(1) مسند إسحاق بن راهوية برقم 141-1954، ج4 / 171-172. قال الخقق د. عبد الغفور البلوشي: رجاله ثقات كلهم. وأبدال الشام: هم رجال صالحون يحملون الإسلام ويفدون به بأرواحهم، وعصائب أهل العراق: عشائر أهل العراق.

وجاء في فيض القدير ⁽¹⁾: (أراد بالوسط ما قبل الآخر، لأن نزول عيسى لقتل الدجال يكون في زمن المهدي ويصلي عيسى خلفه كما جاءت به الأخبار وجزم به جمع من الأخبار، وقال مقاتل في (وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلْسَّاعَةِ) إنه المهدي يكون في آخر الزمان).

المطلب السابع عشر

نزول المسيح عليه السلام وحكمه بشريعة محمد ﷺ

إن من إكرام الله عز وجل لهذه الأمة أن جعلها أعلى الأمم قاطبة بكل المواصفات، وأن نبيها محمد ﷺ أفضل أنبيائه مطلقاً، فما كان من وسع نبي الله عيسى عليه السلام - وبأمر من الله سبحانه - إلا أن يحكم بشريعة الإسلام حينما يتزل بعد أن رفعه الله عز وجل إليه، وقد بينت الأدلة في ذلك، وفي هذا الفصل أردت أن أبين أن عودة الإسلام إلى سدة الحكم لا محالة منه، وهذه علامة مميزة بأن هذا الدين هو المهيم، وفيما يأتي نتعرض للنصوص التي خصت هذه الخارقة والمعجزة لهذا الدين:

1. فعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، قال: ((فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرِمَةً لِّلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ)) ⁽²⁾.

2. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ))، وفي رواية ((وَأَمَّكُمْ))، ورواية أخرى ((فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ))، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة ((وَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ))،

⁽²⁾ ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: 301/5، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى / مصر - الطبعة الأولى عام 1356.

⁽³⁾ صحيح مسلم: 137/1 برقم (156)، مسند أحمد: 384/3 برقم (15167)، صحيح ابن حبان: 231/15 برقم (6819).

قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ (1).

3. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)) (2).

وقد علق الإمام النووي على الحديث قائلاً: ((حكماً)) أي يترل حاكماً بهذه الشريعة، لا يترل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة، والمقسط العادل، يقال أقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل، والقسط بكسر القاف العدل، وقسط يقسط قسطاً بفتح القاف فهو قاسط إذا جار، وقوله ﷺ: ((فيكسر الصليب)) معناه: يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصاري من تعظيمه، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل و((قتل الخنزير)) من هذا القبيل وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أننا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها وتمكننا من قتله قتلناه، وفيه إبطال لقول من شذ من أصحابنا وغيرهم، فقال يترك إذا لم يكن فيه ضراوة، وأما قوله ﷺ: ((ويضع الجزية)) فالصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل إلا الإسلام أو القتل هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.. وأما قوله ﷺ: ((ويفيض المال)) فهو بفتح الياء ومعناه يكثر وتترل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل (3). وفي رواية: ((يوشك أن يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويقتل الدجال فيمكت في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به

(5) صحيح البخاري: 1273/3 برقم (3265)، صحيح مسلم: 135/1 برقم 244 و 245 و 246 - (155).

(3) رواه البخاري برقم (21.9) و (2344) و (2264)، مسلم برقم 242 - (155).

(4) شرح صحيح مسلم للنووي: 549/2.

قَبْلَ مَوْتِهِ قبل موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (1).

فالإسلام هو الذي سيعلو على سائر الأديان في تلك اللحظات الحاسمة من عمر الدنيا، والقيادة ستكون بيد نبي الله عيسى عليه السلام، وهو الذي اتخذته النصارى إلهاً يعبد من دون الله طيلة الفترة التي أعقبت رفعه إلى السماء إلى ظهوره مجدداً بين يدي الساعة، وسيكون له دور حاسم في كسر الصليب الذي بنت عليه الديانة المسيحية جميع أصولها، والذي انبثقت منه الحملات الصليبية على المسلمين وعملت ما عملت من ذبائح ودمار، لهذا أشار الحديث إلى كسر الصليب، كدليل على نهاية هذا الدين المتغطرس الضال، والدينونة للإسلام.

قال الحافظ ابن حجر: (وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلوا من قائم لله بحجة والله أعلم) (2).

فهذه الأحاديث فيها بشارة إلى سيادة هذا الدين رغم طغيان اليهود والنصارى، ورغم طغيان آلتهم الحربية وسيطرتهم على العالم، وذلك بنهاية كل تلك الظواهر ونهايتها تماماً، والتي ستتخطم أمام قوة المسلمين التي يقودها هذا النبي الكريم والذي يحمل شريعة محمد ﷺ الخالدة رغم أنف النصارى ومن سار على نهجهم.

بل إن من المفرح في ذلك أنه لا يدركه أحد من أهل الكتاب على وجه الأرض إلا آمن به لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾**، وهذا الخبر عن ابن عباس رضيه الله عنه، فقد قال في تفسير هذه الآية المباركة: (يعني: أنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حتى يبعث عيسى ابن مريم عليه السلام فيؤمنوا به) (3).

وجاء في تفسير البغوي (4) قوله: **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** أي: وما

(4) ينظر: تفسير البغوي: 307/1.

(4) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 13.

(4) ينظر: الشريعة: 388/1.

(4) تفسير البغوي: 307/1.

من أهل الكتاب إلاّ ليؤمن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله: (قبل موته)، اختلفوا في هذه الكناية: فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلاّ ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته إذا وقع في البأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: فليل لابن عباس رضي الله عنهما: أرأيت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء، قال: فليل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج به لسانه).

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يعني: أن عيسى عليه السلام قد بلغهم رسالة ربه وأقر بالعبودية على نفسه (1).

هلاك الدجال:

فقد جاء في بعض أحاديث النبي ﷺ أن عيسى عليه السلام عندما ينزل يجد الدجال وقد عاث في الأرض فساداً وشروراً، فيقتله ويخلص المسلمين من شروره كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك في زمانه الملل كلها إلاّ الإسلام ويقتل الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قبل موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (2).

وجاء في الصواعق المحرقة (3) ما نصه: (وذلك عند نزول المهدي لما يأتي في أحاديثه أن عيسى يصلي خلفه ويقتل الدجال في زمنه وبعد ذلك تتابع الآيات بل في مسلم أن الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه

(1) نفس المصدر .

(1) نفس المصدر.

(2) ينظر: الصواعق المحرقة: 446/2.

الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضه فيبقى شرار في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((الأنبياء كلهم أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسد مع الإبل والنمّار مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث في الأرض أربعين عاماً ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون صلوات الله عليه))⁽¹⁾.

قال محمد بن الحسين (رحمه الله): (والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال ويقتل المسلمون اليهود ثم يموت عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون ويدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)⁽²⁾.

ومصدق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِي خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ))⁽³⁾.

⁽³⁾ صحيح ابن حبان رقم الحديث (6821) قال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، مسند الطيالسي رقم الحديث (2575).

⁽⁴⁾ الصواعق المحرقة 446/2.

⁽⁵⁾ صحيح مسلم: 2239/4 برقم (2922)، مسند أحمد: 417/2 برقم (9387).



الخاتمة

إن من فضل الله عز وجل على هذه الأمة أنها تسير برعايته وعلى عينه، فهو لن يتركها تضحل وتزول فهائياً، فهي كلما ضعفت جدد لها أمر دينها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا)) (1)، فعند مطالعتك أيها المسلم الكريم للمطالب السبعة عشر المتقدمة تلمس يقيناً أن يد الله جل في علاه لن يرفعها عن أمة خير الأنام ﷺ رغم كيد الأعداء المستمر وبمختلف الوسائل والفنون الحبيثة، فخاتمة هذه الأمة مشرقة بتزول عيسى عليه السلام الذي يحكم بكتاب وسنة محمد ﷺ ويكون أحد أفراد الأمة الإسلامية، والغرض من نزوله هو عودة هذا الدين إلى سدة الحكم، ومن ثم يختم الله به الدنيا والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

(5) سنن أبي داود: 4/ 512 برقم (4291) وصححه الألباني برقم (601).

السيرة الذاتية لمعد البحث

- حامد شاكر محمود خالد الشققي العاني.
- ولد في محافظة الأنبار قضاء الرمادي بجمهورية العراق سنة 1957 م.
- حفظ القرآن الكريم وَجَوَّدَهُ، حتى حصل على إجازة بالقراءات المتواترة التي ينتهي سندها إلى رسول الله ﷺ.
- له شهادة بكلوريوس في القانون والشرعية الإسلامية.
- له شهادة ماجستير في القانون والشرعية.
- عمل مدرساً لمادة التجويد في مركز تحفيظ القرآن في جامع الشيخ عبد الجليل (رحمه الله) في مدينة الرمادي.
- قرأ عليه العديد من حفظة القرآن الكريم بقراءة عاصم وبالأخص رواية حفص.
- يعمل حالياً موظفاً في مديرية الوقف السني في محافظة الأنبار.
- إمام وخطيب
- درس الفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة لمدة أربع سنوات
- عضو جمعية القراء والمجودين في محافظة الأنبار. وعضو الرابطة العالمية للقراء والمجودين.
- عضو هيئة التحرير في مجلة الأمة الوسط تصدر عن الديوان الثقافي في ديوان الوقف السني.
- عضو هيئة تحرير مجلة نسائم الإيمان التي تصدر عن مديرية الوقف السني في الأنبار.
- رئيس هيئة تحرير جدارية دنيا ودين التي تصدر عن مديرية الوقف السني الأنبار.
- له عدة مؤلفات:

- 1- الدروس التربوية المستفادة من قول رسول الله ﷺ ((ليس منا))، مطبوع في شركة الديوان للطباعة والتصميم عام 2001. وأعيد طبعه مرتين من قبل الإرشاد الإسلامي في مديرية الوقف السني / الأنبار.
- 2- حياة عالم الأنبار الشيخ العلامة عبد الجليل إبراهيم الهبتي، مطبوع في مطبعة القبس - العراق عام 2002.

- 3- من أقوم أساليب التربية والتعليم في دورات القرآن الكريم، مطبوع في مطبعة الخنساء - العراق عام 1998. وأعيد طبعه من قبل ديوان الوقف السني / العراق.
- 4- رسالة الأذان، شركة الخنساء - العراق 1998.
- 5- دعوة صادقة إلى صلاة الفجر، شركة الخنساء - العراق 1999. وأعيد طبعه من قبل مديرية الوقف السني / الأنبار.
- 6- دليل هداية الأسرة المسلمة طبع من قبل الإرشاد الإسلامي في مديرية الوقف السني / الأنبار.
- 7- الذب بالقول الفصل عن الثقة من أهل العلم والنقل، مخطوطة.
- 8- آفة الاختلاف المذموم وهل من مصلحتنا أن نختلف طبع من قبل مديرية الوقف السني الأنبار.
- 9- السعود في قراءة عاصم بن أبي النجود براوييه شعبة وحفص وأوجه الخلاف بينهما ، طبع في مركز الدراسات والبحوث في ديوان الوقف السني.
- 10- أنزلوا الناس منازلهم، طبع من قبل الإرشاد الإسلامي في مديرية الوقف السني الأنبار.
- 11- له عدة مؤلفات أخرى قيد الطبع .

● له عدة بحوث ومقالات منها:

فهرس المصادر

- تفسير الطبري
- تفسير ابن كثير
- إعراب القرآن الكريم للنحاس
- سنن الترمذي
- المشكاة للألباني
- مسند الإمام أحمد
- مجمع الزوائد للهيثمى
- الوسطية للصلاحي
- في ظلال القرآن لسيد قطب
- المعجم الكبير للطبراني
- مصنف بن أبي شيبة
- مختصر ابن كثير - محمد علي الصابوني
- صحيح مسلم
- المبشرات بانتصار الإسلام ليوسف القرضاوي
- سنن أبي داود
- تخريج أحاديث الظلال
- الأحكام للآمدي
- هذا القرآن فأين منه المسلمون لمحمد زكي الدين
- سنن الدارمي
- سنن ابن ماجه
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم

- مسند أبي يعلى
- مسند البزار
- المجلة الأحمدية - إبراهيم عبد الله سلقيني
- فتح الباري شرح صحيح البخاري
- صحيح البخاري بشرح الكرماني
- معرفة علوم الحديث للحاكم
- إكمال المعلم بفوائد مسلم
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج
- شرح العقيدة الواسطية
- شرح صحيح مسلم للنووي
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
- الدر المنثور في التأويل بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.
- السلسلة الصحيحة للألباني
- النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير
- صحيح ابن حبان
- المعجم الأوسط للطبراني
- إجابات حاسمة إلى الأخت المسلمة
- لماذا اعتنقنا الإسلام ديناً
- سنن البيهقي الكبرى
- من أجل صحوة راشدة
- الإسلام ومستقبل البشرية
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - دار العروبة - مصر - ط 3
- الإسلام فكرة وحركة انقلاب - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- معالم في الطريق لسيد قطب.

- الدولة العثمانية - عوامل النهوض والسقوط للصلاحي
- العالمية - جمادي الأولى 1423 - 2002، العدد 146 - السنة الرابعة عشر - الهيئة الخيرية الإسلامية - الكويت
- راقص الباليه
- محمد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داود - ترجمة: فهمي شما - مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، مطابع الدرجة الحديثة - ط 1 سنة 1405هـ - 1985م.
- مجلة الأمان اللبنانية - العدد (57) - السنة الثانية - آذار سنة 1980م.
- قناة الرحمة - برنامج (لماذا أسلموا) يوم 2009/6/14.
- روائع إسلامية - إبراهيم النعمة
- مجلة الرسالة الإسلامية - عدد 311 - ديوان الوقف السني - الإعلام والعلاقات العامة.
- مجلة المفكر والمبدع - ديوان الوقف السني - قسم الإرشاد الإسلامي - عدد (3) لسنة 1431هـ - 2010م
- لغتنا والمؤامرة - إبراهيم النعمة
- أباطيل وأسمار
- الفصحى لغة القرآن - إبراهيم النعمة
- السعود في قراءة عاصم بن أبي النجود - حامد شاكر العاني - مطبعة الديوان
- الرسالة للإمام الشافعي
- اقتضاء الصراط المستقيم
- قضايا المرأة المسلمة في مواجهة التحديات
- فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطي
- إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال ورؤياه النبي ﷺ
- شفاء الغليل في ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل - نشر: مكتبة الكليات الأزهرية 1399هـ - 1979م

- مناظرة بين الإسلام والنصرانية - طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض 1407هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - طبعة المدني - القاهرة.
- محمد الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل والكتب القديمة
- كتاب اليهود والدولة العثمانية - د. أحمد النعيمي
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الرياض - ط الأولى - 1409هـ - 1988م.
- موقف اليهود مع الإسلام - د. محسن عبد الحميد - مكتبة الرشد - 1996م.
- التوراة تاريخها وغايتها - ترجمة: سهيل ديب - دار النفائس.
- موقف اليهود من الإسلام والمسلمين.
- عداء اليهود للحركة الإسلامية - زياد محمود علي - دار الفرقان للنشر والتوزيع - جبل الحسين، شارع خالد بن الوليد.
- مجلة المجتمع الكويتية - العدد (324) لسنة 1976م.
- لماذا هذه الحرب ضد العالم الإسلامي - رعد الحيايلى - مطبعة الخنساء.
- وعد كسينجر - سفر بن عبد الرحمن الحوالي - مؤسسة الكتاب الإسلامى، دلس، الولايات المتحدة، 1412هـ - 1991م.
- معالم التزليل لحي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط 4، 1417هـ - 1997م.
- فتح القدير
- تفسير البيضاوي
- زاد المسير لابن الجوزي
- زبدة التفسير من فتح القدير: ط 2 سنة 1408هـ - 1988م - الكويت.
- الوعد الحق والوعد المفترى - د. سفر الحوالي.
- إن القرآن سر نخضتنا.
- مناهل العرفان في علوم القرآن.

- شرح العقيدة الطحاوية.
- النبأ العظيم - د. محمد عبد الله دراز.
- القرآن محاولة لفهم عصري - مصطفى محمود - دار المعارف - مصر.
- سراج التائبين ودوحة الحيين - أحمد الحاج - مطبعة أنوار دجلة - عام 2010م.
- رياض الصالحين - النووي.
- الفوائد لابن القيم الجوزية
- الطائفة المنصورة
- حركة الإسلام ومفكرو الغرب.
- موقف اليهود من الإسلام والمسلمين - د. محسن عبد الحميد.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د. حمدي محمد زقزوق.
- الاستشراق - التاريخ والمنهج والصورة - رضوان السيد
- ماذا تريد أمريكا والصهيونية - د. عبد الرزاق السعدي - دار الأنبار للطباعة والنشر.
- العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد.
- الإسلام قوة الغد العالمية - بول شمتز - الطبعة الأولى 1394هـ.
- العولمة - د. عبد الكريم بكار - دار الإعلام.
- العولمة في المنظور الإسلامي - د. محسن عبد الحميد - سنة 2002م.
- صحيفة الجمهورية العراقية - العدد (10096) في 18/8/1999 - د. لؤي مجيد حسن.
- العولمة ومستقبل البشرية - أيمن نور الدين عمر - دار لبنان للطباعة والنشر - ط 1.
- النظام الدولي الجديد وحقوق الإنسان - باسيل يوسف - بحث منشور في كتاب النظام الدولي الجديد - بغداد - دار الشؤون الثقافية العامة - ط 1، 1992م.
- وحدة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة - د. صلاح الصاوي - شبكة الانترنت.
- بلادنا الإسلامية وصراع النفوذ - مؤسسة الرسالة - بيروت - 1979م.
- النظام العالمي الجديد وموقع العرب منه - د. محمد صالح المسفر - مجلة الدراسات الإنسانية، العدد (8) لسنة 1996 - الإمارات.

- الأيدلوجيا والنظام العالمي الجديد - د. عبد الرضا الطعان - بحث منشور في كتاب النظام الدولي الجديد.

فهرس المواضيع

المقدمة

المطلب الأول - الأدلة القرآنية على ظهور الإسلام وعودته وسيادته

المطلب الثاني - الأدلة النبوية على ظهور الإسلام وسيادته

الطائفة المنصورة وما هي صفاتها

أولاً- الالتزام بشريعة الإسلام

ثانياً- الاستمرار بقهر العدو

ثالثاً- عدم التأثر بخلاف المخالفين ولا بإرجاف المرجفين

رابعاً- ثباتهم على ذلك حتى تنتهي آجالهم أو يأتيهم أمر الله عز وجل

الحوادث الغيبية التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها ستقع بعده

القسم الأول: الأخبار التي وقعت فعلاً وطابق ذلك عما أخبر ﷺ

القسم الثاني: الحوادث التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها ستقع فيما يستقبل من الزمان

المطلب الثالث - أقوال أهل العلم المعاصرين بعودة الإسلام وسيادته وظهوره

المطلب الرابع - شواهد وظواهر على عودة الإسلام ماضياً وحاضراً

المطلب الخامس - عودة الإسلام خير للبشرية جمعاء، وأقوال الغربيين المنصفين بأهمية عودته

وظهوره

- الإسلام يجذب الغربيين إلى اعتناقه

- شهادة الغربيين المنصفين عن دور الإسلام في نهضة الأوربيين

- الغربيون يمتدحون النبي الخاتم محمد ﷺ

المطلب السادس - حذر الغربيين الأعداء من ظهور الإسلام وعودته مجدداً

- استهداف اللغة العربية بالإقصاء والتبديل

- اهتمام علماء المسلمين باللغة العربية قديماً وحديثاً

- المرأة المسلمة أمام تحديات الأعداء

المطلب السابع - الإشارات بظهور الإسلام وعودته في التوراة والإنجيل والكتب القديمة

- الإشارات التي جاءت بها التوراة والإنجيل كدلالة على نبوة رسول الله ﷺ
أولاً- الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ في التوراة

1. جبال فاران

2. نبؤات العهد القديم عن الرسول الخاتم

من أباطيل اليهود على القرآن

ثانياً- الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ في الإنجيل
البرقليطوس يعني أحمد

حديث بحيرا الراهب عن رسول الله ﷺ

ما جاء في (سفر أشعيا - إصحاح 42)

ثالثاً- الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ في كتب الأولين

1. في كتب البراهمة (كتاب السامافيدا)

2. وفي كتاب (ندا افستا)

3. وفي كتب الزرادشتية

4. وفي كتاب اوروافيدم (ادهروويدم)

5. وفي كتاب بنوشيا برانم (بهوش برانم)

المطلب الثامن - تجمع اليهود على أرض فلسطين وإفسادهم العالمي دليل على عودة الإسلام وظهوره

نبذة تاريخية عن كيفية عودتهم إلى فلسطين في العصر الحديث

ماذا تعني الصهيونية وما هي أصولها؟

الوفاق العدائي اليهودي والصليبي المستمر على الإسلام وأهله

المطلب التاسع - نهاية اليهود والنصارى دليل على أن الإسلام منصور بإذنه تعالى
أولاً- نهاية اليهود

1. الادلة القرآنية على نهايتهم

2. الدليل من السنة النبوية على نهايتهم

المطلب العاشر - الإعجاز القرآني دلالة على أن المستقبل لهذا الدين

أولاً- الإعجاز اللغوي البياني في القرآن

المقصود من الإعجاز البياني

ثانياً- الإعجاز العلمي

ثالثاً- الإعجاز التاريخي

المطلب الحادي عشر - الجهاد والحج ماضيان إلى يوم القيامة كدليل على عودة الإسلام وتجده

أولاً- الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة

متى يكون القتال جهاداً في سبيل الله

شروط الجهاد في سبيل الله

أهداف الجهاد في سبيل الله

أنواع الجهاد

شواهد تاريخية عن جهاد المسلمين في العصر الحديث

1. الحروب الصليبية في مصر

2. ثورة المصريين على الإنجليز عام 1919م

3. ثورات السودان

4. ثورات ليبيا

5. ثورات تونس

6. ثورات الجزائر

7. الثورات الإسلامية في شمال أفريقيا

8. ثورات الشرق الإسلامي

9. ثورات تركيا

10. ثورات العراق

ثانياً- الحج ماضٍ إلى يوم القيامة

المطلب الثالث عشر - صحوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ودخول الكثير من غير المسلمين في دين الله كدليل على عودة الإسلام

أنواع التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم وهي إلى الاضمحلال والزوال

1. التحدي الأخلاقي

2. التحدي الفكري

3. التحدي الاقتصادي

4. التحدي العسكري

خوف أعداء الإسلام من عودة الإسلام مجدداً

نماذج من المفكرين الغربيين الذين دخلوا الإسلام عن قناعة تامة

انهيار الدول الغربية الكافرة شيئاً فشيئاً وانهيار الأنظمة العربية المستبدة

المطلب الرابع عشر - النظام العالمي الجديد (العولمة) أنواعها وكيف نشأت ولماذا وجودها

الآن؟

مقدمة

تعريف العولمة

نشأت العولمة

الثورة الصناعية وأثرها في ظهور العولمة

الولايات المتحدة الأمريكية والعولمة

التفرقة بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب

أشكال العولمة

أولاً- العولمة السياسية

ثانياً- العولمة العسكرية

ثالثاً- العولمة الاقتصادية

1. اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة

2. انتقال الأموال والقوى العاملة ضمن اطار من رأسمالية حرية الأسواق

3. خضوع العالم القوي للسوق العالمية الاحتكارية

4. هيمنة الشركات العالمية متعددة الجنسيات على رأسمال الدولة الضعيفة

التناج والمعطيات

المطلب الخامس عشر - ومن دواعي ظهور الإسلام وبقائه عدم إبادة أتباعه واجتثاثهم كما

حدث للأمم السابقة

النبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين ولا نبي بعده

تجديد الدين دليل استمراريته

تميؤ المسلمين لعودة الإسلام وظهوره يحتاج إلى متطلبات

المطلب السادس عشر - ظهور المهدي دليل على عودة الإسلام وظهوره

من هو المهدي

اسمه وكنيته وأوصافه

دوره في عودة الإسلام

سبب خروج المهدي

المطلب السابع عشر - نزول المسيح عليه السلام وحكمه بشريعة محمد ﷺ

هلاك الدجال

الخاتمة

السيرة الذاتية للمؤلف

فهرس المصادر

فهرس المواضيع